

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ



الجواهر البهية

علمي
شرح الفقاهة الشيعية
الجزء الأول

تأليف

الشيخ العلامة شمس الدين الأفغاني الصواني رحمه الله
أستاذ الحديث سابقا بالجامعة العيسية بدمشق

تحت إشراف

الشيخ محمد شمس الدين بن محمد صغير الزبيدي رحمه الله
أستاذ الحديث ومدرس الفقه العيسية بدمشق

قامت بالتميز

الجامعة الإسلامية بدمشق



الجواهر البهية

على
شرح العقائد النسفية

الجزء الأول

تأليف

الشيخ العلامة شمس الدين الأففاني الصواتي رحمه الله

أستاذ الحديث سابقاً بالجامعة الحسينية براندير، سورت

المتوفي سنة ١٣٩٨ هـ الموافق لسنة ١٩٧٨ ع

قام بتصحيح أخطائه المطبعية ومقابلته بالمخطوطة وصف حروفه من جديد نخبة من أساتذة الجامعة

تحقيق

فضيلة الشيخ محمود شبير بن محمد سعيد الرانديري حفظه الله ورعاه

أستاذ الحديث ومدير الجامعة الحسينية براندير سورت غجرات الهند

قامت بالنشر

الجامعة الحسينية براندير، سورت، غجرات

الطبعة الثانية
حقوق الطبع و الترجمة
محفوظة للجامعة الحسينية

تحت إشراف

فضيلة الشيخ محمود شبير بن محمد سعيد الرانديري - حفظه الله ورعاه -
مدير الجامعة الحسينية براندير سورت الهند

الإعانة المالية: من الحافظ حسين ألمات لتوصيل الثواب إلى أبويه
Donation : For Isal - e - Sawab from Hafiz Husain Mayat to his late parents

يطلب من

الجامعة الحسينية / راندير - سورت - الهند

JAMEAH HUSAINIYAH MORA BHAGAL RANDER

DI.SURAT,GUJARAT,INDIA

PIN:-395005,PHONE:-0261.2763303

تفصيلات

- اسم الكتاب : الجواهر البهية على شرح العقائد النسفية
- تأليف : الشيخ العلامة شمس الدين الأفغاني الصواتي رحمه الله تعالى
رحمة واسعة .
- عدد الصفحات : الجزء الاول : ٤٦٥ ، الجزء الثاني : ٢٤٣ .
- سن الطباعة : ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠١٦ م
- تحت إشراف : فضيلة الشيخ محمود شبير بن فضيلة الشيخ محمد سعيد
الرانديري حفظه الله ورعاه ، مدير وأستاذ الحديث بالجامعة
الحسينية راندير ، سورت ، غجرات .
- تنضيد الحروف : الجامعة الحسينية و مركز النشر 09727139553
- الناشر : الجامعة الحسينية براندير ، سورت ، غجرات .
- القيمة :

يطلب من

TO: PRINCIPAL MAULANA SHABBIR SB.

C/O. JAMEAH HUSAINIYAH

MORABHAGAL

AT. PO. RANDER, DIST. SURAT, GUJRAT

PIN: 395005, GUJARAT, INDIA

PHONE: 0261-2763303

FAX : 0261.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على محمد الأمين ، و على آله و صحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

و بعد ! فإن المطبوع الثاني للجزء الاول و المطبوع الاول للجزء الثاني و الثالث للجواهر البهية على شرح العقائد النسفية للشيخ شمس الدين الأفغاني في ايديكم .

ولهذا المطبوع تخصصات تميزه عن المطبوع الأول و هي كالآتي :

(١) مقابلته بالمخطوطة بقلم المؤلف التي ما زالت موجودة في مكتبة الجامعة الحسينية براندير ، سورت .

(٢) تصحيح الأخطاء المطبعية و الإملائية التي شوّهت المطبوع الأول .

(٣) العناية بعلامات الترقيم في جميع الكتاب لأهميتها في تفهيم المدلولات ، و كان الأصل المطبوع خاليا منها .

(٤) زيادة نص " شرح العقائد النسفية " على الجواهر البهية في صدر الصفحة مجملا ، بينما كان الأصل المطبوع خاليا منه .

(٥) إدراج العناوين التي أشار إليها المؤلف في حاشية مخطوطته و لم تدرج في المطبوع .

(٦) النص المشروح في الجواهر البهية قد ذكرناه بين المعكوفين و علامته ((-----)) : .

(٧) زيادة المقدمة على علم الكلام في صدر الكتاب .

(٨) ذكر ترجمة المؤلف في صدر الكتاب و قد ذكره المؤلف مجملا في مقدمته ايضاً .

و أخير نشكر جميع من حاول في تحقيقه و ترتيبه و لا قي من العناء و بذل جهوده في تزويده بالطباعة الثانية ، و الله نسأل أن ينفع به القارئ و هو ولي السداد .

الناشر : محمود شبير غفرله .

ما يتعلق بالمصنف

اسم الشارح شمس الدين سماه به والده مولانا الحاج صدر الدين الأفغاني الصواتي في اليوم السابع من ولادته . قرأ القرآن الكريم و بعض الكتب الفارسية و الإنشا و الحظ على والده ، ثم قرأ الكتب الدراسية في الفنون الرسمية : الصرف و النحو و المعاني و البيان و المنطق و الحكمة و الطب و الفقه و أصول الفقه و علم الكلام و التفسير . وهذه كلها على علماء الوطن و هم كثيرون و كلهم من بحور العلم .

ثم رحل فحضر عند الشيخ المحدث نصير الدين الكاملفوري فقرأ عليه الهداية للإمام المرغيناني و مشكاة المصابيح و من التفسير الجلالين و في السنة الثانية الأمهات الست و غيرها من كتب الحديث ففرغ من جميع الكتب الدراسية معقولا و منقولا حين كان عمره عشرين سنة .

ثم سافر ثانيا لتكميل علم الحديث الشريف أحسن التكميل إلى الجامعة الإسلامية في بلدة دابهيل و هي بلدة صغيرة من مديرية نوساري بولاية غجرات الهند . فقرأ و سمع أمهات الست و غيرها على مشائخها العظماء يعني الشيخ شبير احمد العثماني صاحب الفتح الملمم و الشيخ عبد الرحمن الأمروهي و الشيخ بدر الميرتهي جامع فيض الباري و الشيخ محمد يوسف البنوري صاحب معارف السنن .

ثم رحل إلى أزمهر الهند دارالعلوم ديوبند سنة ١٣٦٣ و أقام بها ست سنين فقرأ على أكابر علمائها الصحاح الستة و غيرها يعني شيخ الاسلام حسين أحمد المدني ، الشيخ ابراهيم البلياوي ، الشيخ محمد إعزاز على الأمروهي ، الشيخ عبد الخالق الملتاخي ، الشيخ بشير أحمد و الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي .

و في سند الفراغ من المدرسة العربية الشهيرة بدارالعلوم الديوبندية و بعد! فإن الأخ الصالح البار المولوى شمس الدين بن صدرالدين المتوطن كالاكلى من مضافات مردان قد دخل دارالعلوم الديوبندية التي هي مركز العلوم الدينية و مدارها و منها يتفجر أنهارها و بحارها في التاسع والعشرين من شوال المكرم سنة ثلث و ستين بعد ألف و ثلاث مائة من الهجرة النبوية على صاحبها الف الف سلام ، فقرأ من العلوم و

الفنون الكتب التي ذكرها ، وبقى مدة ما قرأ على طريقة حسنة رضى عنها الأساتذة وأركان المدرسة و هو عندنا سليم الطبع جيداً لفهم صالح الاستعداد وله منا سبة تامة بالعلوم والأن لما طلب منا الإجازة أجزناه وكتبنا له هذه الورقة لتكون سنداً و تذكرة عند مس الحاجة .

اسامى الكتب المقروءة

قرأ من علم التفسير ، تفسير البيضاوي و تفسير الحافظ ابن كثير بتمامهما و من علم حديث ، صحيح الإمامين الهمامين البخاري و مسلم و سنن أبي داود و ابن ماجه و الجامع للإمام الترمذي و الشمائل له و الموطأين للإمامين القدوتين مالك و محمد و شرح معاني الآثار للإمام الطحاوى رحمهم الله تعالى . و من علم الفقه و أصوله المجلدين الأخيرين من الهداية و التوضيح و التلويح و مسلم الثبوت و من علم العقائد و الكلام حاشية شرح العقائد لمولانا الخيالى و الأمور العامة و من علم المعقول و الفلسفة القاضى المبارك و صدرا و الشمس البازعة و شرح الإشارات و من علم الهيئة التصريح و السبع الشداد و بست باب و من علم الطب القانونجه و شرح الأسباب بتمامها و النفيسي و مبحث الحميات من قانون الشيخ و من علم التجويد الفوائد المكية و الشاطبية و الرائية و قرأ بعض القرآن تجويداً . ثم جعل أستاذاً و مدرسا بالمدرسة العالية بكالكوتا أربع سنين ثم جعل مدرسا بالجامعة الحسينية براندير سنة ١٩٥٤ إلى وفاته و قد مات إلى رحمة الله يوم الأربعاء ١٧ / جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ ، الموافق ٢٥ / مايو ١٩٧٨ ع .

و قد كان الله سبحانه تعالى ألقى في روعه منذ بداية اليوم لذة التدريس و التصنيف فصنف الكتب العديدة . منها الدرر السنيه على شرح القاضى مبارك والجواهر العبقريه على شرح مولانا أحمد الله السندى ومنها الزمر الربا على الصدر اشرح الهداية و قد طبعت و شاعت و منها هذا الشرح الأنيق المسى بالجواهر البهية على شرح العقائد النسفية .

كتبه : العبد الحقير عقيل أحمد القاسي

خادم طلبة الحديث و التفسير بالجامعة الحسينية براندير
غرة شهر شعبان المعظم سنة ١٤٣٦ هـ

الإهداء

إلى روح شيخنا و سيدنا مولانا العارف الزاهد
بقية السلف و زين الخلف الحجة الحافظ المحدث الفقيه
شيخ الإسلام حسين أحمد المدني - رحمه الله -
روح الله روحه ، و نور الله ضريحه .

من تلميذه

شمس الدين الأفغاني الصوتي
خادم العلم بالجامعة الحسينية-راندير، سورت

دارالعلوم الديوبندية

أضاء بضوئها الدنيا تماما	بديوبند أشرقت أنوار علم
رفيع السمك يخترق الغماما	بها دار العلوم لها منار
و زهرالدين تبتسم ابتساما	رياض الفضل اهتزت رباهما
و يشمل ظلها يمنا وشاما	تضوع ريحها شرقا و غربا
و أيقظهم و قد كانوا نياما	فأحياهم و قد كانوا مواتا
لما نالوا الهدى عاما فعاما	و لولا ما عليه سنا قبول
و يا جهل أحسن فلا مقاما	في أنور العلوم ازدد بهاء
قل للجاملين بها سلاما	و من لم يدر او يجهل بفضل

هذه أبيات اخترعها صاحب التأليف

الجامعة الحسينية



أسسها فضيلة الشيخ العلامة مولانا الحافظ محمد حسين - رحمه الله تعالى - سنة ١٣٣٥هـ لتشييد مجد الإسلام ، وإشاعته ونشر السنة النبوية الصحيحة بين جميع المسلمين ، وإصلاح أخلاقهم ، ولنشر التعاليم الإسلامية البحتة بين مسلمي غجرات خصوصا ، وهي جارية بمنه تعالى وفضله بحسن إعانة المسلمين وتأيد هم - أدامها الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

جامع هذه الأوراق أوردتها لتكون مذكرة و معرفة عن أحواله لمن غاب عنه أو يأتي بعده ، فيذكرني بدعاء حسن الخاتمة و خير الدنيا و الآخرة ، فأقول - أنا الراجي عفو ربي القوي :- اسمي شمس الدين سماني به و الذي في اليوم السابع من ولادتي ، و الذي مولانا الحاج صدر الدين الأفغاني الصواتي . قرأت أول ما قرأت القرآن الكريم على و الذي كذلك بعض الكتب الفارسية و الإنشاء و الخط ، ثم شرعت في تحصيل العلوم فقرأت الكتب الدراسية في الفنون الرسمية : الصرف ، و النحو ، و المعاني و البيان ، و المنطق ، و الحكمة ، و الطب ، و الفقه ، و أصول الفقه ، و علم الكلام و التفسير . و هذه كلها على علماء الوطن ، و هم كثيرون ، و كلهم من بحور العلم .

ثم رحلت لتحصيل الحديث الشريف ، فحضرت عند الشيخ شيخنا و سيدنا العارف القطب الكبير و الغوث الشهير المحدث نصير الدين الكاملفوري ، فقرأت عليه الهداية للإمام المرغيناني ، و مشكاة المصابيح ، و من التفسير الجلالين ، و في السنة الثانية الأمهات الست ، و غيرها : من كتب الحديث ، ففرغت من جميع الكتب الدراسية معقولا و منقولا حين كان عمري عشرين سنة ، ولكن لما كان أحب العلوم إلي الحديث الشريف و ما إليه من العلوم المنقولة مع تفوقي في العلوم العقلية ، فسافرت ثانيا لتكميله أحسن التكميل إلى الجامعة الإسلامية في بلدة دابهيل ، و هي قرية صغيرة في مقاطعة بومباي ، فقرأت و سمعت الأمهات الست و غيرها على مشائخها العظماء . أعني : شيخنا و شيخ مشائخنا محقق هذا العصر الشيخ ((شبير أحمد العثماني)) صاحب فتح الملهم ، و العارف بالله الولي الصالح الفقيه المحدث ((الحافظ عبد الرحمان الأمروهي)) و مولانا و أستاذنا المحدث ((بدر عالم الميرتھی)) جامع فيض الباري ، و مولانا و أستاذنا المحدث ((محمد يوسف البنوري)) صاحب ((معارف

السنن)) ، و ((بغية الاريب)) ، و بعد هذا رحلت إلى أزهر الهند دارالعلوم ديوبند سنة ١٣٦٣ هـ و أقمت بها ست سنين . فقرأت على أكابرها و علماءها الصحاح الست و غيرها . أعني : شيخنا مقدم المحققين و المدققين المحدث الكبير شيخ الإسلام المدني ، و مولانا و أستاذنا العلامة المدقق الفيلسوف إبراهيم البلياوي و مولانا و أستاذنا الفقيه المحدث الأديب ((محمد إعزاز علي الأمروهي)) و مولانا و أستاذنا ((عبد الخالق الملتاني)) الذي له يد طول في العقليات ، و مولانا و أستاذنا صاحب الفلسفة الرياضية بشير أحمد ، و مولانا و أستاذنا أحد أذكى العالم المحدث ((محمد إدريس الكاندهلوي)) ، و قد ألقى الله في قلبي من عنفوان شبابي بل من زمن الصبا محبة التدريس ، فلم أقرأ كتابا إلا قمت بتدريسه بعده ، فحصل لي الاستعداد التام في جميع العلوم ، و لم يبق علي تعسر أي كتاب من أي فن كان ، و ألقى الله في روعي من بدء التحصيل لذة التدريس و التصنيف ، فصنفت الكتب العديدة منها : الدرر السنية على شرح القاضي مبارك ، و الجواهر العبقريّة لشرح مولانا حمد الله السندي ، و منها : الزهر الرباء على الصدراء شرح الهداية ، و قد طبعت و شاعت ، و منها : هذا الشرح الأنيق الدقيق .

و من منحه تعالى علي الاشتغال بالتدريس ، فجعلتُ أستاذا و مدرسا بالمدرسة العالية ((بكاليكوتا)) أربع سنوات ، ثم جعلتُ مدرسا و خادما لهذه الجامعة الحسينية سنة ١٩٥٤ء لأنواع العلوم تحقيقا و تدقيقا و حفظا و ضبطا و إيقانا مذ ثمان عشرة سنة .

و من منحه تعالى علي أن رُزقتُ الاشتغال بالمنقول ، و صرفني من الاشتغال

بالمعقول ، و رُزقتُ التوجه إلى فن الحديث و فقه الحديث .

أقول : و حررت هذه الكلمة الوجيزة بإيماء العلامة شيخ الجامعة مولانا و سيدنا محمد سعيد الرانديري ، و أنا أذكر نبذا من شمائله و معارفه و عوارفه في مقام آخر - إن شاء الله و الله على ما يشاء قدير .

العبد الضعيف شمس الدين عفا الله عنه

خطبة الحاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد الأنبياء و المرسلين و على آله و صحبه أجمعين أما بعد : فقد طلب إلى أن أكتب مقدمة في الجواهر البهية على شرح العقائد النسفية أتوخى فيها السهولة و التيسير حتى تكون قريبة ما لوفة و ظاهرة مكشوفة بحيث لا يجد عامة المثقفين عسرا في استيعابها و فهمها .

و إن المذاهب الاسلامية لها مناخ مختلف الاتجاه فمنها مذاهب في الاعتقاد قد اختلفت حول العقيدة و لم يكن الاختلاف في لبها كمسئلة الجبر و الاختيار و غيرها من المسائل التي جرى حولها اختلاف علماء الكلام مع اعتقاد الجميع بأصل الوجدانية و هو لب العقيدة الاسلامية لا يختلف فيه أحد من أهل القبلة .

وإن تفصيل القول في هذه المقدمة يحتاج الى الفرصة و لذلك سنتوخى الإيجاز مع التيسير والتسهيل ، إن من الحقائق الثابتة أن الناس يختلفون في تفكيرهم إذا كان العلماء يقولون : إن الإنسان من وقت نشأته اخذ ينظر نظرات فلسفية إلى الكون فلا بد أن نقول إن الصور و الأخيلة التي تثيرها تلك النظرات تختلف في الناس باختلاف ما تقع عليه انظارهم و ما تثير إعجابهم ، و كلما خطأ الإنسان خطوات في سبيل المدينة والحضارات اتسعت فرجات الخلاف حتى تولدت من هذا الخلاف المذاهب الفلسفية و الاجتماعية والاقتصادية المختلفة .

و لئن حاولنا أن نحصى أسباب الاختلاف و نضعها في حدود لانستطيع

فهي في الحقيقة كثيرة . ولندكر بعضها من غير أن نحاول إحصاءها ، فمنها غموض الموضوع في ذاته و منها اختلاف المدارك و منها الرياسة و حب السلطان .

و هذه بعض أسباب الاختلاف بين الناس فيما يدرسون من موضوعات و ما ينتهون اليه من نتائج دراساتهم وان هذه الجملة من اسباب الاختلاف التي لا تختلف باقليم دون اقليم و لا بموضوع دون موضوع وهي ظاهرة في كل ما يختلف فيه .

و هناك أسباب خاصة لاختلاف المسلمين في أرائهم، منها العصبية العربية ومنها التنازع على الخلافة و منها مجاورة المسلمين لكثير من اهل الديانات القديمة و دخول بعضهم في الاسلام و منها ترجمة الفلسفة و منها التعرض لبحث كثير من السائل الغامضة و منها القصص و منها ورود المتشابهة في القرآن و منها استنباط الاحكام الشرعية .

و بعد أن خضنا في بيان أسباب اختلاف المسلمين يجب أن نقرر أن هذا الاختلاف لم يتناول لب الدين فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالى و شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ولا في أن القرآن نزل من عند الله العلي القدير و أنه معجزة النبي الكبرى و لا في انه يروى بطريق متواتر نقلته الأجيال الاسلامية كلها جيلا بعد جيل و لا في أصول الفرائض كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ولا في طريق اداء هذه التكليفات و بعبارة عامة لم يكن الخلاف في لكن من اركان الإسلام و لا في امر علم من الدين بالضرورة كتحرير الخمر و الخنزير و أكل الميتة و القواعد العامة للميراث و إنما الاختلاف في أمور لا تمس الأركان ولا الأصول العامة ! .

كان المؤمنون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان يستقون عقيدتهم من القرن الكريم يعرفون ما يليق بذاته . تعالى . وما ينزه عنه . جل و علا . من آياته تعالت كلماته و لذا لم يكن بينهم جدل في شأن من شئون العقائد . و أما غير هؤلاء الذين أسلموا وجوههم لله تعالى فقد كان منهم أسئلة

يريدون بها الفتنة وقد حكى الله تعالى في قوله . تعالت كلماته ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله و ما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون أمانا به كل من عند ربنا و ما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ وكانت المسئلة التي أتبرت هي مسئلة القدر .

و هي المسئلة التي شغلت اصحاب الديانات القديمة و قد تكلم بالقدر المشركون و القواعن أنفسهم مسئولية الشرك بالقدر و قد قال سبحانه و تعالى عنهم ﴿ سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا نحن و لا أبائنا و لا حرمننا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن و إن أنتم إلا تخرصون ﴾ .

و نرى من هذا أن أولئك المشركين إنما يتبرون مسئلة القدر و يحتجون بها و على النبي صلى الله عليه وسلم و قد كان يظهر في عصر النبي صلى الله عليه عليه وسلم مثارا أخرى غير القدر يثيرها من تأثر بتعاليم قديمة و مهما يكن في أمر هذه المسائل التي تثار فأقوى مسئلة كانت هي مسئلة القدر . فقد نهى النبي ﷺ عن الخوض فيه مع وجوب الإيمان به لأن الخوض فيه مضلة للأفهام و مزلة للأقدام و حيرة للعقول في مضطرب من المذاهب والآراء و ذلك يدفع الى الفرقة و الانقسام ولأن إثارة الجدل فيه إثارة في أمر ليس في سلطان المجادل الإقناع فيه و ليس بيد أحد من الأدلة العقلية ما يحسم به الخلاف و يقطع في الموضوع .

و لما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الا على و اختلط المسلمون بغيرهم من الأمم و أصحاب الديانات القديمة و فيهم من يتكلم في القدر و من يثبتته و من ينفيه ابتدأت المناقشة فيه تأخذ شكلا لا يتفق مع أمر النبي ﷺ بعدم الخوض فيه و يروى في ذلك أن عمر بن الخطاب أتى بسارق ، فقال : لم سرت ؟ فقال قضى الله علي ، فأقام عليه الحد ثم ضربه أسواطاً ، فقيل له في ذلك فقال أمير المؤمنين : القطع للسرقة و الجلد لما كذب على الله تعالى .

و زعم بعض الناس أن الإيمان بالقدر ينافي الحذر فليل لعمر عندما امتنع

عن دخول مدينة فيها طاعون : أفرارا من قدر الله ؟ فقال الفاروق عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله ، و هو يشير بهذا إلى أن قدر الله . تعالى . محيط بالإنسان في كل الأحوال و أنه لا يمنع الأخذ بالأسباب و إن ذات الأسباب مقدورة فيجب علينا الأخذ بها و السير في طريقها إقامة للتكليفات و تحملا لتبعة الأشياء .

و زعم الذين اشتركوا في قتل الإمام الشهيد عثمان . رضى الله عنه . أنهم ما قتلوه إنما قتله الله و حين حصبوه قال له بعضهم : الله هو الذى يرمىك ، فقال عثمان : " كذبتكم لو رماني الله ما اخطأني " و ما كانت هذه الظنون إلا بعض مازرعه أهل الديانات الأخرى في نقوس المسلمين .

و كان الكلام في القدر يشتد كلما اتسع نطاق الفتن ولذا كان الكلام فيه في عهد على . رضى الله عنه . أشد وأحد و حاول الإمام أن يمنع الخوض فيه بطريق إعادة الأمر فيها إلى النصوص الظاهرة .

و قد وجد في عهد علي كرم الله وجهه . الجدل في مسألة أخرى غير مسألة القدر و هي مسألة " مرتكب الكبيرة " فإن الجدل في هذه المسألة أثاره "الخوارج" بعد التحكيم ، اذ حكموا بكفر من رضى بالتحكيم باعتباره كبيرة في نظرهم و كفرا و عليا . رضى الله عنه . كما كفروا من معه و قد جر هذا الى المناقشة في شأن مرتكب الكبيرة : أ هو مؤمن أو غير مؤمن ؟ أ هو مخلص في النار يوم القيامة ؟ أم يرجى له الغفران و أن رحمة الله وسعت كل شيء ، و أخذ الجدل فيها ينمو و يزيد حتى اختلف العلماء في ذلك اختلافا كبيرا ، و يعد بعض العلماء هذه المسألة رأس مسائل المعتزلة التي عنوا حتى كانت السبب في تسميتهم المعتزلة .

و لما جاء العصر الأموى و اضطربت أمور السياسة في أولها وجد في ذلك المضطرب السياسى جدل فكرى لا يقل عنفا عن هذا المضطرب بل كان كلاهما يتغذى من الآخر و يستمد منه حياة و قوة .

و قد ابتدأت في هذا العصر الآراء الفلسفية تنتشر بين المسلمين

باختلاطهم بالفرس واليونان والرومان وكل هؤلاء كان للعلوم الفلسفية عندهم منزلة كبيرة ، و كان بالعراق مدرسة فلسفية كمان كان بفارس قبل الاسلام مثلها ، و قد تعلم الفلسفة بعض العرب في هذه المدارس كالحارث بن كلده و ابنه النضر . و لما جاء الإسلام في تلك الأصقاع وجد من سكانها من يجيدون العلوم الفلسفية و منهم من كان يعلم المسلمين مبادئها و كان للسريان العمل البارز الظاهر في ذلك .

ثم إنه بدخول هذه الفلسفات المختلفة وجدت بحوث فلسفية كثيرة حول العقيدة ، فتكلم بعض العلماء في كون صفات الله . تعالى . المذكورة في القرآن غير الذات أم هي و الذات شيء واحد ؟ و هل الكلام صفة الله تعالى . و هل القرآن مخلوق ؟ و هكذا تكاثرت الموضوعات التي جرى فيها الخلاف ، ثم تجمع الكلام في القدر و اتجه إلى إرادة الإنسان أيعد الإنسان فاعلا مختارا قادرا على ما يفعل أم يعد فيما يفعل كالريشة في مهب الريح ، ليس لها إرادة تحركها و توجهها التوجيه الذي تبتغيه ، و بذلك تسلسلت الأفكار و الآراء ، و صار لكل جماعة من العلماء مجموعة من الآراء العلمية جعلتها ذات مذهب علمي صالح للدراسة و الفحص و يجري الجدل فيه و حوله و بذلك تكونت المذاهب الاعتقادية .

و قد انقسمت المذاهب القديمة إلى جبرية و معتزلة و مرجئة و أشاعرة و ما تريدي و حنابلة .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام ديناً ، و نصب لنا الدلالة على صحته برهانا مبينا ، و أوضح السبيل إلى معرفته و اعتقاده حقا يقينا ، و وعد من قام بأحكامه و حفظ حدوده أجرا جسيما ، و ذخر لمن وافاه به ثوابا جزيلا و فوزا عظيما ، و فرض علينا الانقياد له و لأحكامه ، و التمسك بدعائمه و أركانه ، و الاعتصام بعراه و أسبابه ، فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه و لأنبيائه و رسله و ملائكة قدسه ، فيه اهتدى المهتدون و إليه دعا الأنبياء و المرسلون ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها و إليه يرجعون ﴾ فلا يقبل من أحد ديننا سواه من الأولين و الآخرين ﴿ و من من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين ﴾ و حكم سبحانه بأنه أحسن الأديان و لا أحسن من حكمه و لا أصدق منه ، قيل ﴿ و من أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله و هو محسن ، و اتبع ملة إبراهيم حنيفا ، و اتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ . و كيف لا يتميز من له أدنى عقل يرجع إليه بين دين أقام أساسه و ارتفع بناؤه على عبادة الرحمن ، و العمل بما يحبه ويرضاه مع الإخلاص في السر و الإعلان ، و معاملة خلقه بما أمر به من العدل و الإحسان و إثبات طاعته على طاعة الشيطان ، و بين دين^(١) أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار أسس على عبادة النيران ، و عقد الشراكة بين الرحمن و الشيطان ، أو دين^(٢) أسس بنيانه على عبادة الصليبان و الصور المدهونة في السقوف و الجيطان ، أو دين^(٣) أمة الغضب انسلخوا من رضوان الله كانسلاخ الحية من قشرها ، و باؤا بالغضب و الخزي و الهوان ، و فارقوا أحكام التوراة ، و نبذوها وراء ظهورهم ، و اشتروا بها القليل من الأثمان ، فترحل عنهم التوفيق و قاربهم الخذلان ، و استبدلوا بولاية الله و ملائكته و رسله و أوليائه ولاية الشيطان ، أو دين^(٤) أسس بنيانه على أن رب العالمين وجود مطلق في

(١) الرد على المجوس .

(٢) الرد على النصارى .

(٣) الرد على اليهود .

(٤) الرد على بعض الفلاسفة الدهرية .

الأذهان لا حقيقة له في الأعيان ، ليس بداخل في العالم ولا خارج عنه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، ولا متمائز عنه ولا مبائن له ، لا يسمع ولا يرى ولا يعلم شيئاً من الموجودات ولا يفعل ما يشاء ، لا حياة له ولا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار له ، ولم يخلق من السموات والأرض في ستة أيام ، بل لم تزل السموات والأرض معه سبحانه ، وجودهما مقارن لوجوده ، لم يوجد شيئاً بعد عدمها ، ولا له قدرة على إفنائها بعد وجودها ، ما أنزل على بشر كتاباً ولا أرسل إلى الناس رسولا ، فلا شرع يتبع ولا رسول يطاع ولا دار بعد هذه الدار ولا مبدء للعالم ولا معاد ، ولا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ، إن هي إلا تسعة أفلاك وعشرة عقول وأربعة أركان وأفلاك تدور و نجوم تسير وأرحام تدفع وأرض تبلع ﴿ وما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من العلم إن هم إلا يظنون ﴾ .

أما بعد : فيقول العبد الضعيف شمس الدين بن صدر الدين الأفغاني نسباً ، و الصوتي وطناً و الحنفي مذهباً و الديوبندي مشرباً و تلمذاً : هذه حواشٍ شريفة و فوائد لطيفة وتعليقات رفيعة سنية على ((شرح العقائد النسفية)) للشيخ العلامة الذي كان من محاسن الزمان لم تر العيون مثله في الأعلام والأعيان ، وهو الأستاذ على الإطلاق و المشار إليه بالاتفاق ، و المشهور في ظهور الأفاق المذكور في بطون الأوراق ، هو بحر بلا ساحل و حبر بلا ممائل ، و انتهت إليه رئاسة العلوم ، و ختمت به حكومة الفنون المدعو بـ "سعد الدين التفتازاني" ، و سميتها ((بالجواهر البهية على شرح العقائد النسفية)) و كم سهرت لهذا الجمع في ظلم الدياجر و احتملت المشقة في ظمأ الهواجر ، فجاء بعون الله ما يروق النواظر و يسر الخواطر و يجلو صدأ الأذهان و يرهف البصائر ، و ليس غرضي من ذلك أن يدرج اسمي في المؤلفين ، و يشتهر اسمي في العالمين ، بل المقصود أن يحصل العلم لمن لا يعلم ، و يكون وسيلة و ذريعة لي إلى دار النعم ، و أرجو من خلان الصفاء أن يطالعوه بعين الإنصاف ، و أرجو من مشائخنا و أساتذتنا أن ينظروا فيها بنظر الألفاف . و أما قبول التصنيف في أعين المستفيدين و اعتماده على أبصار الغافلين فليس مداره على مقدار فضل المؤلفين ، و إنما هو فضل رب العالمين ، و بالله التوفيق ، و منه الوصول إلى التحقيق و عليه التوكل في البداية و النهاية و هو حسبي و نعم الوكيل .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله المتوحد بجلال ذاته وكمال صفاته ، المتقدس في
نعوت الجبروت عن شوائب النقص وسماته

أقول بتوفيق الله و حسن توفيقه : لما افتتح كتابه بالبسملة - و هي نوع من
الحمد - ناسب أن يردفها بالحمد الجامع لجميع أفرادها البالغ أقصى درجات
الكمال ، فقال :

شرح قوله: الحمد لله بالطفوجه

((الحمد لله)) : و العدول إلى الجملة الإسمية للدلالة على الدوام و الثبات ، و
تقديم الحمد باعتبار أنه أهم نظرا إلى كون المقام مقام الحمد ، كما ذهب إليه صاحب
" الكشف " في تقديم الفعل في قوله سبحانه ﴿ إقرأ باسم ربك ﴾ و حمد الله سبحانه:
هو الثناء عليه بصفاته و أفعاله . ((و الله)) : علم للذات الواجب الوجود المستوجب
لصفات الكمال و المستحق لجميع المحامد ، و هو أعظم الأسماء ، لأنه دال على الذات
الجامع للصفات الإلهية ، و لأنه أخص الأسماء إذ لا يطلق على غيره سبحانه لا حقيقة
ولا مجازاً - و أما تحقيق لفظ الجلالة و مباحثه في أنه علم لذاته المخصوص أو أنه
وصف في أصله ، فمشروح في المطولات و مفوض إلى المبسوطات ، و اللام في الحمد
يصح أن تكون للجنس ، و عليه صاحب " الكشف " و يصح أن تكون للاستغراق ، و
إليه ذهب الجمهور ، و اللام في الله يصح أن تكون للاختصاص ، و كونها للاستحقاق ،
فالتقدير أربعة على كل منها ، فالعبرة دالة على اختصاصه سبحانه بجميع المحامد ،
إما على الاستغراق فبالمطابقة و هو ظاهر ، إذ المعنى كل حمد مختص به أو مستحق له
و إما على الجنس فبالالتزام ، لأن المعنى : إن جنس المحامد مختص به أو مستحق له ،
و يلزمه أن لا يثبت فرد منها ، إذ لو ثبت فرد منها لكان الجنس ثابتا له في ضمنه ،
فلم يكن الجنس مختصا و لامستحقا ، و ذلك منافٍ لدلول الحمد ، فافهم . ((المتوحد
بجلال ذاته)) : جل ذاته القديم الأزلي أنه الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا شريك

له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

جلت ذاته عن الأشباه والأمثال ، وتقديس عن الأضداد والأنداد والشركاء و
الأمثال ، ولا رادّ لحكمه ولا معقب لأمره ، والحق : ليس كذاته ذات ولا كصفاته
صفات ، هو السميع الذي يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات
هو البصير الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

تذليل

قد كثر استعمال المصنفين في خطبهم لفظ ((المتفرد)) : بصفة التفعّل ، وكذا
المتوحد و المتقدس و نحوهما ، مع أن الأسماء توقيفية على الأصح ، وهو قول شيخ
أهل السنة وإمام الأمة الأشعري ولم يرد بذلك سمع وإن ورد أصلها : كالواحد و
الأحد أو ما بنحو معناه ، وكالقدوس بالنسبة إلى المتقدس ، وحينئذ فإطلاقها إما على
قول القاضي الباقلاني : وهو أنه يجوز إطلاق اللفظ عليه سبحانه إذا صح اتصافه به
ولم يومهم نقصا ، وإن لم يرد به السمع ، أو على مختار حجة الإسلام الإمام الفخر
الرازي : من جواز الإطلاق دون توقيف في الوصف ، حيث لم يومهم نقصا دون الاسم ،
لأن وضع الاسم له سبحانه نوع تصرف بخلاف وصفه سبحانه بما معناه ثابت له . و
أيضا إن قدماء الفلاسفة على أن احدا من خلقه لا يعرف ذاته المخصوص البتة ، وأن
ذاته المخصوص ليس معقولا للبشر ، فكيف يوضع الاسم لذاته المخصوص ؟ فتأمل .
((وكمال صفاته)) : إشارة إلى نعوت جماله من وجوب الوجود والبقاء وامتناع العدم
والفناء والوحدانية والعم والقدرة والتدبير والقضاء القدر والإعادة والإبداء .

قوله: المتقدس في نعوت الجبروت والرد على المجسمة والمشبّهة

((المتقدس في نعوت الجبروت)) : إيماء إلى نعوت جلاله ، قال الله سبحانه
﴿ الملك القدوس ﴾ فالملك اسم من أسمائه ، وكذا ملك ، وهو صفة مبالغة في الملك
قال الله سبحانه ﴿ عند ملك مقتدر ﴾ فالملك هو المستغني عن كل شيء ويفتقر إليه
كل شيء و نافذ حكمه في مملكته طوعا أو كرها ، ولذلك ترى الملوك الجبابرة مع

جبروتهم يخضعون ويتذللون له سبحانه ، ولهذا تتمات ليس هذا المقام مقامها .

و القدوس من أسمائه سبحانه ، سعى نفسه بذلك ، فيه إشارة إلى دوام القدس . فالقدوس هو المنزه عما لا يليق به من الأضداد و الأنداد . ((عن شوائب النقص و سماته)) : الشوائب من الشوب بمعنى الخلط . و سماته من السمات و هو الطريق ، و المعنى : المقدس من النقائص و العيوب فانه سبحانه نزه نفسه بنفسه لعجز الخلق عن ذلك ، قال سبحانه ﴿ سبحانه ربك رب العزة عما يصفون ﴾ ، فإنه سبحانه تنزه في ذاته و صفاته عن العديل و النظير ، لأنه سبحانه و صفاته مصون و محفوظ عن الظنون الكاذبة و الأوهام السخيفة . و قد قيل في قوله سبحانه : ﴿ و ما قدروا الله حق قدره ﴾ يعنى : ما و صفوه حق و صفه ، و ما عظموه حق عظمتهم ، و ما عرفوه حق معرفته ، و ذلك : لأنه لو جمعت عقول العقلاء عقلاً واحداً ، ثم تفكروا بذلك العقل في جناح بعوضة ، حتى يجدوا تركيباً أحسن منه ، لفنيت تلك العقول و انقطعت تلك الأفكار و لم تصل إلى درك ذرة من ذرات حكمته في جناح تلك البعوضة على سبيل الكمال و التمام ، فما ظن بنبي الجلال و الإكرام . تبا ثم تبا لأهل الضلالة و الجهالة و ما اعتقدوه من النقص و العيب . فمن حق العبد الطالب للنجاة حراسة قلبه و سماعه عن خزايا خزعبلاته المبدعة من المجسمة و المشبهة و الحشوية ، و العجب ! لو قيل لهم : أخبرني عن قدر عروقك رقعةً و ثخانةً و طولاً و قصراً عن حقيقة بعض ما في بطنك من أي نوع كان ؟ لعجزوا عن بيان ذلك ، فتعالى الله و تبارك أن يخوض في ذاته و صفاته إلا من عدم الرشاد ، و سلك سبيل الفساد و العناد ، و صير نفسه أخص العباد ، فمن حقق نظره و استعمل فكره وجد نفسه أجل الجاهلين بعظمة هذا العظيم ، فلا يقدر أحد قدره و لا يعرفه سواه ، و إن قربه و أدناه . فسبحان ما أثنى عليه حق ثنائه غيره و لا و صفه بما يليق به سواه ، عجز الأنبياء و المرسلون عن ذلك . قال أجلهم قدراً و أرفعهم محلاً و أبلغهم نطقاً ، و من أعطي جوامع الكلم : " لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت أنت على نفسك " . و من تأمل كلام الله سبحانه وجد مملوءاً بتنزيهه ، تارةً بالتصريح و تارةً بالتلويح و تارةً بالإشارات و تارةً بما تقصر عنه العبارات ، فتشبهه الله سبحانه بال مخلوقات نزغة يهودية و نزغة نصرانية ، فالمجسمة و المشبهة أهل زيغ و كفر ، فتأمل و لا تغفل .

..... و الصلاة على نبيه محمد

ولما كان كل سعادة دينية أو دنيوية ، عاجلة أو آجلة واصلةً إلينا بوسيلة رسول الله ﷺ ، قال الله سبحانه : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . وقد أمرنا الله سبحانه بأن نصلي عليه ، قال الله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ أخذ في الصلاة عليه ، فقال :

و الصلاة على النبي وآله وهو محمد سيد البشر

((و الصلاة)) : وهي من الله سبحانه الرحمة . خص الأنبياء من بين سائر البشر بالإفراد بالدعاء بالرحمة بلفظ الصلاة تعظيماً لهم . والسلام : هو تحية ، معناه الدعاء بالسلامة . ((على نبيه)) : و الفرق بين النبي و الرسول : أن الرسول من بعثه الله إلى قوم و أنزل عليه كتاباً أو لم ينزل ؛ لكن أمره بحكم جديد ، لم يكن ذلك الحكم في دين الرسول الذي كان قبله . و النبي من لم ينزل عليه كتاباً و لم يأمره بحكم جديد بل أمره أن يدعو الناس إلى دين الرسول الذي كان قبله . فالحاصل أن الرسول أخص من النبي ، لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً .

((محمد)) : و هو سيد البشر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، نصت عليه الأنبياء بنعته و وصفه و اسمه رمزاً و تصريحاً ، وأنه خاتم الرسل وأنه الحبر الأعظم و رئيس العالم و رسول الختان الذي يأتي بآخر الزمان ، و قد مست حاجة الإنسان إلى بعثته لما أظلم على رؤوس جميع الأمم سحاب الجهل و الغم ، فأخذت هواتف البشري بظهوره تتوالى و أنوار نبوته تلاًل ، فولد يتيماً . لم يقم على تربيته مهذب و لم يعن على تربيته مؤدب ، لا استاذ ينهيه و لا كتاب يرشده ، فكان بين أولياء من عبدة الأوهام و أقرباء من حفدة الأصنام و أتارب استحكمت فيهم الجاهلية و عشيرة كانت حلفاء الوثنية ، غير أنه مع ذلك كان ينمو و يتكامل بدنأ و عقلاً و فضيلة و أدبا . و كان يكنى

بين قومه بالصادق الأمين ، إلى أن يتجلى عليه نور القدس وهبط عليه الوحي من المقام العلي ، وأمره أن يبلغ قومه ، فقام بهذه الدعوة العظمى وحده ، والناس أحياء ما ألفوا ، أعداء ما جهلوا ، والقوم حوله عبيد شهواتهم لا يفقهون ما يقولونه ولا يعقلون من قوله ، وهو يسفه أحلامهم ويقبح أصنامهم قائماً بأعباء الرسالة ، إلى أن اتخذهم من الضلالة ، وهو يجاهد حق جهاده بين تلك الصناديد من قريش وكبار المشركين وعظماء الأعراب والمعادنين ، وهم أشد الناس حباً للعظمة والأنفة ، إلى أن أخرجهم من ظلمات الأصنام إلى نور الإسلام ، فثبت بضرورة العقل أنه صادق بقوله سبحانه : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ فهو عبده ورسوله القائم له بحقه وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين وحجة على العباد أجمعين ، بعثه على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطريق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ومحبة وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه ، فلم يزل ﷺ قائماً بأمر الله سبحانه ، لا يرد عنه راد ، مشمراً في مرضاة الله ، لا يصد عن ذلك صاد ؛ إلى أن أشرقت الدنيا برسالته ضياءً وابتهاجاً ودخل الناس في دين الله أفواجاً وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار ، وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار . ونعم ما قال القائل !!

أحكامه عدل وحق كلها	في رحمة و مصالح و حلال
شهدت عقول الخلق قاطبة بما	في حكمه من صحة و كمال
فاذا أتت أحكامه ألفيتها	وفق العقول تزيل كل عقال
حتى يقول السامعون لحكمه	ما بعد هذا الحق غير ضلال
لله أحكام الرسول و عدلها	بين العباد و نورها المتلائم

.....المؤيد بساطع حججه وواضح بيناته

((المؤيد)) : المقوي دعوى نبوته و اتصافه بأعلى ما يتصور للخلق من الكمال ، قال عليه الصلاة والسلام : " أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء " ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل : " لقد أعطي هذا النبي ما لم يعط نبي قبله " ، " إن عينيه تنامان و قلبه يقظان " ، فمن ذلك أنه بعث إلى الخلق عامة ، و ختم به ديوان الأنبياء ، و أنزل عليه القرآن الذي لم ينزل من السماء كتاب يشبهه و لا يقاربه ، و أنزل على قلبه محفوظا متلوا ، و ضمن له حفظه إلا أن يأتي الله سبحانه بأمره ، و أوتي جوامع الكلم و نصر بالربعب في قلوب أعاديه ، و بينهما مسيرة شهر ، و جعلت صفوف أمته في الصلاة على مثال صفوف الملائكة في السماء ، و جعلت الأرض له و لأمته مسجدا و طهورا ، و أسري به إلى أن جاوز السماوات ، و رأى ما لم يره بشر قبله ، و رفع على سائر النبيين ، و جعل سيد ولد آدم ، و انتشرت دعوته في مشارق الأرض و مغاربها ، و أتباعه على دينه أكثر من أتباع سائر النبيين : من عهد نوح إلى المسيح ، فأمته ثلاث : أهل الجنة و خصه بالوسيلة و هي أعلى درجة في الجنة ، و بالمقام المحمود الذي يغبط به الأولون و الآخرون ، و بالشفاعة العظمى التي يتأخر عنها آدم و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى الله أعز الله به الحق و أهله عزا لم يعزه بأحد قبله و أذل به الباطل و حزبه ذلا لم يحصل بأحد قبله ، و آتاه من العلم و الشجاعة و الصبر و السماحة ، و الزهد في الدنيا ، و الرغبة في الآخرة ، و العبادات القلبية ، و المعارف الإلهية ، ما لم يوته نبي قبله ، و جعلت الحسنه منه و من أمته بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، و تجاوز عن أمته الخطأ و النسيان ، و صلى عليه هو سبحانه و ملائكته - عليهم صلاة الله و سلامه - و أمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه و يسلموا تسليماً ، و قرن اسمه باسمه ، و جعل لواء الحمد بيد ه ، فأدم و جميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة ، و جعله أول من تنشق عنه الأرض ، و أول شافع و أول مشفع

و أول من يقرع باب الجنة ، و أول من يدخلها من الأولين و الآخرين ، و لا يدخلوها إلا بعد شفاعته ، و أعطي من اليقين و الإيمان و الصبر و الثبات و القوة في أمر الله و العزيمة على تنفيذ أوامره ، و الرضا عنه و الشكر له ، و التبرع في مرضاته و طاعته ظاهراً و باطناً سرّاً و علانية في نفسه ما لم يعطه نبي غيره . و من عرف أحوال العالم و ما بين الأنبياء و أممهم تبين له أن الأمر فوق ذلك ، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك : مالا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، و هو نور الله سبحانه ، لا يطفأ و لا يخصم حتى تثبت في الأرض حجته ، و ينقطع به العذر ، هذا مطابق لحاله و أمره ، و مما يشهد به القرآن في غير موضع ، قال الله سبحانه : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً ﴾ و قال سبحانه : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ﴾ .

و قال سبحانه : ﴿ فالذين آمنوا به و عزروه و نصروه و اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ و نظائره في القرآن كثيرة . و الحق التحقيق بالتحقيق فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدرُوا أن يذكروا نبيا جمع هذه الأوصاف و بالله التوفيق .

((بساطع حججه)) : المرتفعة العالية الصادرة منه : من القرآن العظيم ، و المعجزات الباهرة . ((و واضح بيناته)) : هذه الدلائل الظاهرة من شمائله و خصائله و محاسن سيره و محامد أثره مما يوجب القطع بصدق دعواه من حسن خلقه و خلقه . و قد اتفقت الملل كلها مؤمنها و كافرما على أنه عليه السلام من أكمل الناس في الصفات البشرية خلقاً و خلقاً و عقلاً و رأياً و حكمة و أصدق الناس و أكرمهم و أشجعهم ، و أكثر الناس أمانة و وقاراً و إعراضاً عن الدنيا و رغبة في الآخرة ، لم يختلف في هذه الصفات اثنان من المسلمين ، و لا ممن خالفه من الكفار و المشركين ، فإنها أمور محسوسة دالة على الرسالة الربانية . فافهم .

..... وعلى آله وأصحابه

((وعلى آله)) : الظاهر أن المراد أزواجه أمهات المؤمنين وعترته وأولاده ، و يعد منهم أمير المؤمنين المرتضى أيضاً ، ويؤيده حديث الكساء والمباهلة وغيرهما ، وذلك بتوسط سيدة النساء .

الثناء على الصحابة والرد على السار أحمد خان الدهلوي

((وأصحابه)) : وأصحابه الذين صحبوه على إيمانهم وماتوا عليه ، وهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً . قوم اختارهم الله سبحانه لإقامة دينه وصحبة نبيه ، وقد أثنى سبحانه عليهم مالم يثنه على أمة من قبلهم من الأمم . قال الإمام الشافعي في رسالته :

وقد ذكر الصحابة فعظمهم وأثنى عليهم ، ثم قال : ((رضى الله عنهم ورضوا عنه)) : وهم فيض في كل علم واجتهاد ورع وعقل ، وأمر استدرك به علمهم وأراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا ، وقال : « وقد أثنى الله سبحانه على الصحابة في التورات والإنجيل والقرآن ، وسبق لهم على لسان نبيهم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم . وقال الإمام أبوحنيفة : " إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة نختار من قولهم ونخرج عنه " ، وقال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : " لما دخل أصحاب رسول الله - ﷺ - الشام نظر اليهم أجل من أهل الكتاب ، فقال : ما كان أصحاب عيسى - عليه السلام - الذين قطعوا بالمنشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاد من هؤلاء " ، وقد شهد لهم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى : بأنهم خير القرون على الإطلاق ، كما شهد لهم ربهم : بأنهم خير الأمم على الإطلاق ، قال الله سبحانه : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ وعلماؤهم وتلاميذهم الذين ملؤوا الأرض علماً ، فعلماء الإسلام كلهم

تلاميذهم ، و تلاميذ تلاميذهم - و هلم جراً - و هؤلاء الأئمة الأربعة الذين طبق علمهم الأرض شرقاً و غرباً هم تلاميذ تلاميذهم ، و خيار ما عندهم ما كان عن الصحابة ، و خيار الفقه ما كان عندهم ، و أصبح التفسير ما أخذ عنهم . و أما كلامهم في معرفة الله و أسمائه و صفاته و أفعاله و قضائه و قدره ففي أعلى المراتب . فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد و القلوب بالعلم و القرآن ، فملأوا الدنيا خيراً ، و علماء الناس اليوم في بقايا أثر علمهم . و إذا دريت هذا بأن الصحابة بحور العلم و الحكم فما قال قائد "النجيرية" أحمد خان الدهلوي في ذم الصحابة و هجومهم : "إن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة و رعاة الإبل ، و هم لم يفهموا و لم يعلموا القرآن و أحكام الشريعة " ، فهو من أعظم البهت و أفحش الكذب ، و لم يعلم هذا الرجل المتغابي أن المسلمين بنوا أساس دينهم و معالم حلالهم و حرامهم على الكتاب الذي لم ينزل من السماء أعظم منه . فيه بيان كل شيء و تفصيل كل شيء و هدى و رحمة و شفاء لما في الصدور ، فهو أساس دينهم ، و أما الصحابة فإنهم و إن كانوا أميين فمذ بعث الله سبحانه فيهم رسوله زكاهم و علمهم الكتاب و الحكمة و فضلهم في العلم و العمل و الهدى و المعارف الإلهية و العلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الأمم ، فلم يبق أمة من الأمم تدانيهم في فضلهم و علومهم و أعمالهم و معارفهم فلو قيس ما عند جميع الأمم من معرفة و علم و هدى و بصيرة إلى ما عندهم لم يظهر له نسبة إليه بوجه ما ، و إن كان غيرهم من الأمم أعلم بالحساب و الهندسة و النبض و القارورة و علم الفلاحة و علم الموسيقى أو الألحان و غير ذلك : من العلوم التي هي بين علم لا ينفع و بين ظنون كاذبة ، و بين علم نفعه في العاجلة ، و ليس زاد الآخرة . فإن أراد المتغابي أن الصحابة كانوا عواماً في هذه الفنون فنعم إذاً "و تلك شكاة ظاهر عنك عارها " .

و إن أراد هذا الرجل أنهم كانوا عواماً في العلم بالله و أسمائه و صفاته و أفعاله و أحكامه و دينه و شرعه و تفاصيله و تفاصيل ما بعد الموت و علم سعادة النفوس و

شقاوتها و علم صلاح النفوس و أمراضها ، فمن أعظم الأباطيل ، و هي للبصائر أظهر
من الشمس للأبصار ، و لنعم ما قال القائل في مدحهم :

انظر إلى هدي الصحابة و الذي	كانوا عليه في الزمان الخالي
و اسلك طريق القوم أين تيمموا	خذ يمينة ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى	سبل الهدى في القول و الأفعال
درجوا على نهج الرسول و هديه	و به اقتدوا في سائر الأحوال
القانتين المختبين لربهم	الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين لكل فعل سيئ	و العاملين بأحسن الأعمال
أهواؤهم تبع لدين نبيهم	و سواهم بالضد في ذي الحال
عملوا بما علموا و لم يتكلفوا	فلذاك ما شابوا الهدى بضلال
فهم الأدلة للحيارى من يسر	بهدهم لم يخش من إضلال
و هم النجوم هداية و إضاءة	و علو منزلة و بعد منال
يمشون بين الناس هو نانطقهم	بالحق لا بجهالة الجهال
حلماً و علماً مع تقى و تواضع	و نصيحة مع رتبة الأفضال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة و تضرع و سؤال
و عيونهم تجري بفيض دموعهم	مثل انهمال الوايل الهطال
في الليل رهبان و عند جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوهم أثر السجود لربهم	و بها أشعة نورها المتألئ
و لقد أبان لك الكتاب صفاتهم	في سورة الفتح المبين العالي

و لم يعلم هذا الرجل المتغابي أن ذم الصحابة في العلم و العمل تكذيب الله
سبحانه و تكذيب كتابه و تكذيب رسوله و نبيه .

..... هداة طريق الحق و حماته و بعد ! فإن مبنى علم الشرائع و الأحكام و أساس قواعد عقائد الإسلام هو علم التوحيد و الصفات

((هداة)) : جمع الهادي من الهداية بمعنى الدلالة على ((طريق الحق و حماته)) : جمع حامي بمعنى الحافظ .

((و بعد ! فإن)) : هذه الفاء إما على توهم أما أو على تقديره في نظم العبارة ، و هذا على ما ذكره السيد الشريف و تبعه من بعده من المتأخرين ، و الواو عوض عنها. ((مبنى علم الشرائع و الأحكام)) : يعني أن ما يبتني عليه الشرائع و الأحكام التي هو عين اعتقاد الملة الإسلامية ، فمبناه هو اعتقاد توحيده سبحانه من كل وجه ، و اتصافه بالصفات العلية المقدسة و اعتقاد نبوة الأنبياء مع ما يلزمه من اعتقاد ما يتعلق بالكتب السماوية و غيرها أو خصوص الأحكام الفرعية الفقهية ، فمبنا ما : الاعتقادات الإسلامية أو المعتقدات من حيث هي معتقدات . ((و أساس قواعد عقائد الإسلام)) : و أساس بمعنى أصل البناء ، يعني ما يبتني عليه قواعد عقائد الإسلام ، هي الأصول الكلية ، أي : مأخوذة من النظر.

و الضرورة و النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية . و القواعد جمع قاعدة ، و هي حكم كلي ينطبق على جميع جزئياته ؛ ليتعرف أحكامها منه . و العقائد جمع عقيدة و هي قضية جزم فيها ثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه ، و الإضافة للبيان .

((هو علم التوحيد)) : للباري تعالت كبرياؤه و جلت أسمائه ، إذ ما لم يعتقد توحيده سبحانه لم يتصور الاعتقادات الإسلامية المتفرعة عليه . ((و الصفات)) : السبع الحقيقية الذاتية له ، إذ عليه اعتقاد الرسالة و النبوة ، و عليه تدور الاعتقادات الباقية الدائرة عليها الفروع .

..... الموسوم بالكلام المنجي عن غياهب الشكوك و ظلمات الأوهام
و إن المختصر المسمى بالعقائد للإمام الهمام قدوة علماء الإسلام
نجم الملة و الدين عمر النسفي

((الموسوم بالكلام)) : و هذا العلم هو الموسوم المسئى بالكلام و علم العقائد .

قالوا: الكلام يعطى النجاة. أقول: هذا زعمهم بزعمهم

((المنجي)) : يعني المعطي للنجاة و الخلاص ((عن غياهب الشكوك)) : جمع غيب ، هو الظلمة و السواد الشديد من الخيل والليل، والمعنى : الظلام التي هي الشكوك و الريوب إضافة تشبيه ؛ بناءً على أن في الجزم و اليقين انكشافاً وانجلاء ، و في الشك و التردد ظلمةً و سواداً ((و ظلمات الأوهام)) : التي تعري الناس عن العقائد الإسلامية ، لاسيما في مسألة الصفات و مسألة الحدوث و القدم ، و مسألة النبوات و مسألة خلق الشرور و الفسادات ، و مسألة خلق الأفعال و مسألة الجبر و القدر ، و مسألة المعاد .

أقول : هذا زعمهم بزعمهم ، فهم يزعمون أنهم يدفعون بالذي وضعوه الشبهة و الشكوك . و الفاضل الذكي يعلم أن الشبه و الشكوك زادت بذلك ، و من المحال أن لا يحصل الشفاء و الهدى و العلم و اليقين من كتاب الله سبحانه و من كلام رسوله ، و يحصل من كلام هؤلاء المتحيرين الذين أخبر عنهم الواقف على نهايات أقدام بما انتهت إليه من مرامهم ، هو "الإمام الفخر الرازي" حيث يقول (١) :

نهاية أقدام العقول عقل و أكثر سعي العالمين ضلال
و أرواحنا في وحشة من جسوننا و حاصل دنيا نا أذى و وبال
و لم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل و قال

(١) في كتابه أقسام الذات والأربعين وغيرها . ١٢ .

لقد تأملت الطرق الكلامية و المناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلا و لاتروي غليلا ، و رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، ففيه من البراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل ، فتزول أمراض الشبهة المفسدة للعلم و التصور و الإدراك بحيث يرى الأشياء على ما عليه ، ولنعم ما قال القائل:

و ألفاظ اذا فكرت فيها ففيها من محاسنها فنون
وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية :
من التوحيد و إثبات الصفات و إثبات المعاد و النبوات و ردّ النحل الباطلة و الآراء
الفاسدة ، مثل القرآن ، فإنه كفيل بذلك كله متضمن على أتم الوجوه و أحسنها و
أقربها إلى العقول و أفصحها بيانا ، فهو الشفاء على الحقيقة من ردود الشبهة و
الشكوك ، و علم أن ماعداه : من كتب الناس و آرائهم و معقولاتهم بين علوم لاثقة بها
و بين ظنون لا تغني عن الحق شيئا ، قد وعروا الطريق إلى تحصيلها ، و أطالوا
العبارات في إثباتها مع قلة نفعها وجدواها .

الفتنة نوعان: فتنة الشبهات و فتنة الشهوات

و الفتنة عند القوم نوعان : فتنة الشبهات ، و هي أعظم الفتنتين ، و فتنة
الشهوات ، و قد تجتمعان للعبد ، و قد ينفرد بإحداها . ففتنة الشبهات تنشأ تارةً من
فهم فاسد ، و تارةً من غرض فاسد ، و تارةً من نقل كاذب ، و تارةً من حق ثابت خفي
على الرجل ، فلم يظفر به . و هذه الفتنة مآلها إلى الكفر و النفاق ، و هي فتنة المنافقين
و فتنة أهل البدع على حسب مراتب نفاقهم و بدعهم ، فجميعهم إنما ابتدعوا من
فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق و الباطل و الهدى بالضلال فهذه الفتنة
هي الفتنة العظمى و المصيبة الكبرى . و لا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول
و تحكيمه في الدين ظاهره و باطنه عقائده و أعماله و حقائقه و شرائعه ، فيتلقى عنه
حقائق الإيمان و شرائع الإسلام ، و ما يثبتته الله سبحانه من الصفات و الأفعال و

الأسماء ، و ما ينفيه عنه . و أما النوع الثاني من الفتنة ، ففتنة الشهوات ، إن الله سبحانه فتن أصحاب الشهوات بالصور الجميلة ، فمن صبر منهم على تلك الفتنة نجا مما هو أعظم منها ، و من أصابته تلك الفتنة سقط فيما هو شر منها . و أصل كل فتنة إنما هو تقديم الرأي على الشرع و الهوى على العقل . فالأول أصل فتنة الشبهة ، و الثاني أصل فتنة الشهوة ، ففتنة الشبهات تدفع باليقين و فتنة الشهوات تدفع بالصبر ، و لذلك جعل إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين ، فقال سبحانه : ﴿ و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون ﴾ فدل على أنه بالصبر و اليقين تنال الإمامة في الدين . و جمع بينهما أيضاً في قوله سبحانه : ﴿ و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر ﴾ . فتواصلوا بالحق الذي يدفع الشبهات و بالصبر الذي يكف عن الشهوات ، فبكمال العقل و الصبر تدفع فتنة الشهوة ، و بكمال الصبر و اليقين تدفع فتنة الشبهة . و بالله التوفيق .

((و إن المختصر المسمى بالعقائد)) : توطئة و تمهيد لتأليف الشرح ((للإمام الهمام)) : بمعنى الملك العظيم الهمة . ((قدوة)) : ما انتسبت به و اقتديت به (مقتدى) ((علماء الإسلام نجم الملة و الدين)) : من حيث يهتدى به الناس مثل النجوم ، إشارة إلى لقبه نجم الدين ((عمر النسفي)) : و اسمه الشريف عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان مفتي الثقلين أبو حفص (١) النسفي (٢) ، كان إماماً فاضلاً أصولياً متكلماً محدثاً مفسراً فقيهاً حافظاً نحويّاً أحد الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر و القبول التام عند الخواص و العوام . و تفقه عليه ابنه .

أبو الليث المعروف بالمجد النسفي ، و قرأ عليه بعض تصانيفه صاحب الهداية و ذكره " ابن النجار " ، فأطال ، و قال : كان فقيهاً فاضلاً محدثاً مفسراً أديباً و قد صنف الكتب في التفسير و الحديث و الشروط و قال الملاء علي القاري في " طبقاته " قيل : إنه كان يعلم الإنس و الجن ، و لذلك قيل له : مفتي الثقلين .

(١) أبوحفص يكنى أبا حفص تولد سنة إحدى و ستين و أربع مئة و توفي سنة سبع و ثلاثين و خمس مئة بسمرقند .

(٢) نسبة إلى نسف بلدة من تركستان و تسمى نخشب .

.....أعلى الله درجته في دارالسلام يشمل من هذا الفن على غرر
الفرائد و درر الفوائد في ضمن فصول ، هي للدين قواعد و
أصول ، و أثناء نصوص هي لليقين جواهر و فصوص مع
غاية من التنقيح

((أعلى الله درجته في دارالسلام)) : اي أعطاه الله سبحانه درجة عالية من
درجات واقعة في الجنة التي هي دارالسلامة عن الغوائل والمحن والزوال . ((يشمل خبر
للمختصر يعني يحتوي ((من)) : جملة مسائل ((هذا الفن)) : و الفن نوع من أنواع
العلوم ترجع مسائله إلى جهة واحدة . ((على غرر)) : جمع غرة بالضم بياضي جبهة
الفرس ، و الأغر: الأبيض من كل شيء .

((الفرائد)) : من إضافة الصفة إلى الموصوف. الفرائد جمع فريدة ، هي
الجوهرة النفيسة . و المراد بها عمائد المطالب ولطائف المآرب والدقائق الغربية
و الحقائق العجيبة . ((و درر الفوائد)) : من إضافة الصفة إلى الموصوف :
يعنى الفوائد التي مثل الدرر في النفاسة و ميل الطبيعة و علو الطبقة. ((في
ضمن)) : نصب على المصدرية يعني اشتمالا حاصل في ضمن عدة ((فصول هي
للمدين قواعد)) : يعني هي من حيث أنها مشتملة على العقائد التي هي أصول
الدين ، قواعد . يعني قعدت عليها الأحكام الدينية . ((و أصول)) : و من حيث
أن الشرائع الجزئية من الدين متفرعة عليها أصول الدين . ((و أثناء)) : و
اشتمالا واقفا في أثناء ((نصوص)) : يعني الفاظ مصرحة على المعاني . ((هي)) :
يعني تلك التصريحات ((لليقين)) : الوارد على العقود و الأخبار ((جواهر)) :
يعني موارد ومواد له ((و فصوص)) : جمع فص وهي للخاتم. ((مع غاية من
التنقيح)) : يقال : نقح العظم : استخرج مخه ، و نقح الجذع : شذبه ، و نقح
الشيء : استخرج قشره .

..... و التهذيب و نهاية من حسن التنظيم و الترتيب . فحاولت أن أشرحه شرحا يفصل مجملاته و يبين معضلاته و ينشر مطويا ته ، و يظهر مكنوناته مع توجيه للكلام في تنقيح و تنبيه على المرام في توضيح و تحقيق للمسائل ، غبّ تقرير و تدقيق للدلائل إثر تحرير و تفسير للمقاصد بعد تمهيد و تكثير

((و التهذيب يقال)) : مذهبه أي : قطعه وأصلحه ((نهاية من حسن التنظيم))
يعني التأليف و الجمع في سلك ((و الترتيب)) : هو وضع كل شيء في موضع يليق به و حاصله و هو مع إيجاز لفظه يحتوي على معان كثيرة الشعوب ، و إن أصوله منقحة مهذبة عن الزوائد ، و فصوله محررة قوانينه ملحقة . ((فحاولت)) : مرتب على ما قبله من جميع أوصاف علم التوحيد و الصفات ، و المختصر ((أن أشرحه شرحا يفصل)) : الجملة صفة للشرح ، يعني يظهر معاني ((مجملاته)) : التي ازدحمت فيها أو الاحتمالات التي أتى فيها بعبارة موجزة . ((و يبين)) : يعني يسهل بالكشف و الإبراز ((معضلاته)) : يعني مشكلاته الشديدة . ((و ينشر مطوياته)) : النشر البسط و الإظهار ، و المعنى : يفرق مطوياته مأخوذة من الطي و اللف يعني يظهر ملفوفاته ((و يظهر مكنوناته)) : يعني مستوراته التي هي خفايا المطالب و خبايا المآرب ((مع توجيهه للكلام)) : و هو حمل العبارة على محمل صحيح لا يتوجهه عليه شيء مما يتوهم فيه . ((في)) : ضمن ((تنقيح)) : للمرام ((و تنبيه)) : يعني مع تنبيه و إيقاظ للسامع لاحتمال الاشتباه فيه . ((على المرام)) : الذي قصده و أراداه المصنف ((في)) : ضمن ((توضيح)) : للعبارة ((و)) : المطلوب مع ((تحقيق للمسائل)) : يعني جعلها محققة المضامين . ((غب تقرير)) : بكسر الغين و تشديد الباء : عاقبة الشيء ، يعني بعد تقرير يريد تحقيق مضمون المسئلة بعد تقريرها . ((و)) : مع ((تدقيق للدلائل)) : يعني و تعمق النظر و إمعان الفكر فيها . ((إثر تحرير)) : بمعنى العقيب ، يقال : خرج في إثره أو إثره يعني بعده ، يعني : وقفت النظر في مقدمات الدلائل و تقريبها بعد تحرير لها و تسطيرها و إخلاءها عن الحشو و الزائد مع ((تفسير)) : يعني و كشف ((للمقاصد)) : و المطالب ((بعد تمهيد)) : و توطئة مهينة نفهمها مما يبين معداته ، و مما يتوقف عليه من مبادئها ((و)) : مع ((تكثير))

..... للفوائد مع تجريد ، طاويا كشح المقال عن الإطالة والإملال ،
و متجافيا عن طرفي الاقتصاد ، الإطناب والإخلال . والله الهادي
إلى سبيل الرشاد ، والمسؤول لنيل العصمة والسداد ، وهو حسبي
و نعم الوكيل . اعلم أن الأحكام الشرعية منها : ما يتعلق بكيفية
العمل و تسمى فرعية وعملية ، ومنها : ما يتعلق بالاعتقاد و تسمى
أصلية و اعتقادية ، و العلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع و
الأحكام لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع ، ولا يسبق الفهم عند
إطلاق الأحكام إلا إليها ، و بالثانية علم التوحيد والصفات ، لما أن
ذلك

((للفوائد)) : المرتبة على ما أورده المصنف ((مع تجريد)) : للعبارة ، و المعنى
عن العيوب و النقائص و الخلل و الزوائد ، فعزمت أن أعمل هذا الشرح - حال كوني -
((طاويا كشح المقال عن الإطالة و الإملال)) : ((و)) : حال كوني متجافيا)) :
متباعدة ((عن طرفي الاقتصاد : الإطناب)) : العبارة الزائدة على قدر الحاجة . ((وإلا
خلال)) : و هو عبارة عن كمال الاختصار و الإيجاز في العبارة و المعنى و ترك الطرفين
مستلزم لاختيار الوسط ، فأشار إلى أنه ترك التطويل الممل و الإيجاز المخل إلى اختيار
طريق الاقتصاد . ((والله الهادي)) : يعني ليس الهادي إلا هو ((إلى سبيل الرشاد))
يعني طريق الهداية و السداد ((و)) : هو ((المسؤول)) : الذي لا نستله إلا إياه للنجاة
و الخلاص عن الخطايا و الذنوب . ((لنيل العصمة)) : التي هي الملكة الحاملة لمن هي
فيه على التجنب عن الغواية و الضلالة ((و)) : لنيل ((السداد)) : يعني الصواب من
القول و العمل . ((و هو حسبي و نعم الوكيل)) : و العطف ، فيه أبحاث مفروغ عنها
في موضعها : ليس فيه مزيد النفع .

تقسيم العلوم الدينية وطريق الضبط

((اعلم)) : تمهيد لتقسيم العلوم الدينية الماخوذة عامة مقاصدها ومسائلها من الأدلة الأربعة . و طريق الضبط أن يقال : إن العلم إما أن يكون باحثاً عن أحوال العقائد من حيث يفحص فيه عن العقود : أيها يجب الإذعان به والاعتقاد به ، و أيها يجب تكذيبه وإبطاله ، أو يكون باحثاً عن الأفعال والأعمال أيها مما ينبغي أن يعمل به، و أيها يجب أن يترك . و الأول يسمى علم الكلام ، و الأحكام المدونة فيه تسمى أصلية اعتقادية ، لما أنها لا غاية لها إلا اعتقادها ، لكن أن يكون على وفق الشرع لا على مجرد العقل كالفلسفة . و الثاني ما يكون باحثاً عن الأفعال الظاهرة ، فإما أن يبحث فيه عن طريق إثبات كيفياتها وأحوالها عن الأدلة الشرعية على نمط القوانين الكلية والضوابط العامة من غير خصوص نظر إلى مسألة جزئية ، فهو علم الأصول ، وإما أن يبحث فيه عن تفاصيل المسائل الجزئية ، بحيث أن يلاحظ استفادة علمه من طريق الاجتهاد في أدلتها التفصيلية : من الأدلة الأربعة ، و إن كان بعضها مما ليس له مزيد فاقعة إلى الاجتهاد ، بل هي من ضروريات الدين : مثل وجوب الصلوات الخمس وجوب صيام رمضان ، فهو الفقه .

((إن الأحكام الشرعية منها : ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية)) : لتفرعها على الأصول الاعتقادية . ((و عملية)) : لتعلقها بكيفية العمل . ((و منها : ما يتعلق بالاعتقاد)) : يعني الأحكام التي لا يطلب فيها إلا تحصيل الاعتقاد بها من حيث أنها مطلوبة في الشرع . ((و تسمى أصلية)) : لأنها أصول الشرائع ((و اعتقادية)) : لأن الاعتقاد هو المطلوب فيها . ((و العلم المتعلق بالأولى)) : يعني بالأحكام المتعلقة بكيفية العمل . ((يسمى علم الشرائع والأحكام)) : وذلك لوجهين أما الوجه الأول ((لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع)) : لأن العقل لا يستقل بمعرفة مسائل الصلاة والصيام وغير ذلك . و أما الوجه الثاني ((و لا يسبق الفهم عند إطلاق الأحكام إلا إليها)) : يعني الأحكام المتعلقة بكيفية العمل ((و بالثانية)) : يعني العلم المتعلق بالأحكام المتعلقة بالاعتقاد ((علم التوحيد والصفات لما أن ذلك)) : يعني مسألة توحيد الباري سبحانه وصفاته .

..... أشهر مباحثه و أشرف مقاصده ، و قد كانت الأوائل من الصحابة و التابعين - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي ﷺ و قرب العهد بزمانه و لقلّة الوقائع و الاختلافات ، و تمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين العلمين و ترتيبهما

قال بعض أهل الجهل: تدوين الكلام بدعة والرد عليهم

((أشهر مباحثه و أشرف مقاصده)) : . و لما كان لقائل أن يقول : " إن هذا التدوين بدعة لم يوجد في عهد الصحابة و التابعين " ، فأزاحه : بأن ذلك من قبيل عدم الحكم لعدم علته ، و أجاب عنه بوجهين : أما الوجه الأول ((و قد كانت الأوائل من الصحابة و التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي - ﷺ - و قرب العهد بزمانه)) : يعني لم يتوجهوا إلى تدوينهما لوجهين : أما الوجه الأول : صفاء عقائدهم من غير احتمال شوب الغي و الزيغ ؛ بشرف الصحبة النبوية في الصحابة ، و بقرب العهد النبوي في التابعين ، و إنما كان يفتقر إليهما لإزالة الغواية و الضلالة ، و عدم العلم و المعرفة لفرط الجهالة بالأمور الشرعية الواقعية . و أما الوجه الثاني : قلّة الوقائع و الحوادث و المناقشات و المنازعات في العقائد و الأحكام الشرعية ؛ لعدم غلبة الجهالة و فرط العصبية و شيوع الفسق و الكذب ، فلم يكونوا يحتاجون إلى هذه المشقة العظيمة و إلى هذا أشار بقوله : ((و لقلّة الوقائع و الاختلافات)) : يعني في المسائل الاعتقادية الأصلية و المسائل الفرعية العملية . ((و تمكنهم من المراجعة إلى الثقات)) : يعني لقدرتهم في تحصيل العقائد و الأحكام الشرعية و دفع شبهاتهم إلى العلماء المعتمد عليهم ((مستغنين)) : خبر كانت ((عن تدوين العلمين)) : المفيدين ((و ترتيبهما)) : لا عن نفس هذين العلمين ، و إنما كان حصولهما إما من نظرهم بأنفسهم في منا شيء النصوص و مأخذها ، أو من المباحثات الحقة العلمية .

..... أبواباً و فصولاً ، و تقرير مقاصدهما فروعاً و أصولاً ، إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين و البغي على أئمة الدين ، و ظهر اختلاف الآراء و الميل إلى البدع و الأهواء ، و كثرت الفتاوى و الوقائع و الرجوع إلى العلماء في المهمات ، فاشتغلوا بالنظر و الاستدلال و الاجتهاد و الاستنباط ، و تمهيد القواعد و الأصول ، و ترتيب الأبواب و الفصول ، و تكثير المسائل بأدلتها ، و إيراد الشبه بأجوبتها ، و تعيين الأوضاع و الاصطلاحات ، و تبين المذاهب و الاختلافات ، و سمو ما يفيد معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه،

((أبواباً و فصولاً و تقرير مقاصدهما فروعاً و أصولاً ، إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين ، و البغي على أئمة الدين ، و ظهر اختلاف الآراء و الميل إلى البدع و الأهواء)): و المراد بالفتن فتن أصحاب الغواية و أرباب البدعة ، و المراد بالبغي على أئمة الدين انحراف أهل الزرع عن منهج مجتهد أهل السنة ، و المراد بظهور اختلاف الآراء شيوع اختلافها تعصباً و عناداً في العقائد و الأحكام ، لا مجرد الاختلاف في العلم و المعرفة و البدعة : هي ما يخالف الشرع و لا يدخل تحت الأصول الكلية الشرعية . ((و كثرت الفتاوى و الوقائع و الرجوع إلى العلماء في المهمات)) : يعني شاع و ذاع و وقع النوازل و الوقائع الجزئية المتعذرة معرفة أحكامها من صريح النصوص ، فاختلف فيها الأحكام من قبل أهل الفتوى باختلاف آرائهم ، فوجب القطع بمس الحاجة إلى وضع أصول الاجتهاد و الاستنباط من مظان النصوص ، و بلغ الشأن إلى تدوين الفقه و أصوله ، و وضع المسائل و الأجوبة و الأدلة الإجمالية و التفصيلية ، و إلى هذا أشار بقوله ((فاشتغلوا بالنظر و الاستدلال و الاجتهاد و الاستنباط ، و تمهيد القواعد و الأصول و ترتيب الأبواب و الفصول ، و تكثير المسائل بأدلتها ، و إيراد الشبه بأجوبتها ، و تعيين الأوضاع و الاصطلاحات ، و تبين المذاهب)) : يعني مذاهب أهل القبلة . ((و الاختلافات)) : يعني بين أهل القبلة . ((و سمو ما يفيد معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه)) : و المراد بالاصول: هي المسائل و العقود المقصودة ، يعني العلم المدون الذي يفيد مطابقة مسائله معرفة الأحكام العملية ، و احتراز بالقيود الأخير عن علمها الحاصل بالأدلة الإجمالية ، فإنه علم أصول الفقه لا علم الفقه.

..... و معرفة أحوال الأدلة إجمالاً في إفادتها الأحكام ، بأصول الفقه ، و معرفة العقائد عن أدلتها التفصيلية ، بالكلام ؛ لأن عنوان مباحثه كان قولهم : الكلام في كذا و كذا ، و لأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه و أكثرها نزاعاً و جدالاً ، حتى أن بعض المتغلبة قتل كثيراً من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن ، و لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات و إلزام الخصوم ، كالمنطق للفلاسفة . و لأنه أول ما يجب من العلوم التي انما تعلم و تتعلم بالكلام ، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك ، ثم خص به ، و لم يطلق على غيره تميزاً . و لأنه إنما يتحقق بالمباحثة و إدارة الكلام من الجانبين ، و غيره قد يتحقق بمطالعة الكتب و التأمل . و لأنه أكثر العلوم نزاعاً و خلافاً ، فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين و الرد عليهم . و لأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم ، كما يقال للأقوى من الكلامين : هذا هو الكلام

((و معرفة أحوال الأدلة إجمالاً في إفادتها الأحكام بأصول الفقه)) : و فيه إشارة - و الله أعلم - أن المختار عنده - قُدِسَ سرُّه - هو أن موضوع علم الأصول هو الأدلة فقط ، لكن لا مطلقاً ، بل من حيث أنها مفيدة للأحكام ، ((و معرفة العقائد عن أدلتها التفصيلية بالكلام)) : و هو علم التوحيد و الصفات سعى به . ((لأن عنوان مباحثه كان قولهم)) : يعني قول المتقدمين ((الكلام في كذا و كذا)) : يعني قالوا في مواضع الفصول : الكلام في إثبات واجب الوجود ، و الكلام في النبوة ، و الكلام في الإمامة ، و على هذا سائر الفصول و الأبواب . ((و لأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه)) : و هذا أظهر و أشهر ((و أكثرها نزاعاً و جدالاً)) : بين أهل القبلة لا سيما بين الجماعة و القدريّة و الكرامية ((حتى أن بعض المتغلبة)) : يعني الملوك بالغلبة لا بطريق البيعة من أهل الحل و العقد بالاستحقاق . ((قتل كثيراً من أهل الحق)) : و

هذا القتل العظيم وقع في الحكومة العباسية لاسيما في عهد المأمون فإنه له غلو في ذلك ، و كان رافضيا معتزليا عالماً فاضلاً ، و كان متوغلاً في فنون الفلسفة مجتهداً فيها ، و الله القهار ينتقم منه بجميع ذلك . ((لعدم قولهم بخلق القرآن)) .

و في هذا الباب واقعات و حادثات طويلة عظيمة كثيرة ، و هذا الكتاب اللطيف ليس مقامها و موضعها . ((ولأنه يورث)) : يعني ينشئ و يوجد ((قدرة على الكلام)) : يعني على الكلام الظاهري و على الكلام الباطني . ((في تحقيق الشرعيات)) : يعني في إثبات الأحكام الشرعية ((و إلزام الخصوم)) : يعني و إسكات الخصوم المناظرين ، ((كالمنطق للفلاسفة)) : يعني أن للفلاسفة علماً نافعا يتوسلون به إلى سائر علومهم ، سموه بالمنطق ، لإفادته قوة في النطق الظاهري و النطق الباطني ، زعم بعض الناس أن المنطق ميزان المعاني ، كما أن العروض ميزان الشعر . قال " الحافظ الهيثمي " : إن الحلبي وغيره صرحوا بجواز تعلمه ليرد على أهله ، و يدفع شرهم عن الشريعة المطهرة ، فيكون ذلك من باب إعداد العدة .

((ولأنه أول ما يجب من العلوم التي انما تعلم و تتعلم بالكلام)) : يعني أن الاشتغال بعلم الكلام أول الواجبات ؛ إذ هو أصول الأحكام الشرعية كلها ، لكن وجوبها بمعنى واجب الكفاية ((فاطلق عليه)) : يعني على ما يفيد معرفة العقائد عن دلائلها ((هذا الاسم لذلك)) : يعني أنه أول ما يجب من العلوم . ((ثم خص)) : يعني هذا الاسم ((به)) : هذا العلم . ((و لم يطلق على غيره تميزاً)) : و إن كان وجه الإطلاق موجوداً في كل علم و فن . ((ولأنه)) : يعني علم الكلام ((إنما يتحقق بالمباحثة و إدارة الكلام)) : يعني ((من الجانبين ، و غيره)) : و غير علم الكلام ((قد يتحقق بمطالعة الكتب و التأمل)) : هذا إذا كان صاحب المطالعة ذا مادة قابلة و ملكة فاضلة . ((ولأنه أكثر العلوم نزاعاً و خلافاً ، فيشتد افتقاره)) : يعني افتقار علم الكلام ((إلى الكلام مع المخالفين و الرد عليهم)) : من جانب أهل الحق . ((ولأنه لقوة أدلته صار كانه هو الكلام دون ما عداه من العلوم ، كما يقال للأقوى من الكلامين : هذا هو الكلام)) .

.....و لأنه لايتنائه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية كان أشد العلوم تأثيراً في القلب و تغلغلا فيه ، فسمى بالكلام المشتق من الكلم : وهو الجرح ، وهذا هو كلام القدماء ، و معظم خلافياته مع الفرق الإسلامية خصوصاً المعتزلة ؛ لأنهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة ، و جرى عليه جماعة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - في باب العقائد. و ذلك لأن رئيسهم و ذلك لأن رئيسهم واصل بن عطاء

((و لأنه لايتنائه على الأدلة القطعية)) : يعني القواطع العقلية التي اخترعها بعقولهم السخيفة . ((المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية)) : يعني الظواهر النقلية التي جاءت بها الأنبياء . ((كان أشد العلوم تأثيراً في القلب و تغلغلا فيه ، فسمى بالكلام المشتق من الكلم : وهو الجرح ، وهذا هو كلام القدماء)) : يعني وهذا القدر من المعرفة بالعقائد الضرورية الشرعية مع الرد على أهل الزيغ من أهل القبله كان علم الكلام المدون في كتب القدماء ، فلم يخلطوا هذا العلم بالأصول الفلسفية و الرد عليها و القدح في أدلتها . ((و معظم خلافياته)) : يعني أكثر اختلافات كلام القدماء .

كبار الفرق الإسلامية أربع

((مع الفرق الإسلامية)) : و كبار الفرق الإسلامية أربع : القدرية و الصفاتية و الشيعة و الخارجية . ثم يتركب بعضها مع بعض و يتشعب عن كل فرقة أصناف ، فتصل إلى ثلاث و سبعين فرقةً . ذلك لأن أهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الواحد فيها ، فافتقرت المجوس على سبعين فرقةً ، و اليهود على إحدى و سبعين فرقةً ، و النصارى على اثنتين و سبعين فرقةً ، و المسلمون على ثلاث و سبعين فرقةً ، و الناجية أبداً من الفرق واحدة ، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة . و أما أهل الاهواء و الآراء : مثل الفلاسفة و الدهرية و الصائبة و عبدة الكواكب و الأوثان و

البراهمة و السمنية الهندية ، فليست تنضبط مقالاتهم . ((خصوصاً المعتزلة لأنهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف)) : لعل وجهه أن سائر الطوائف سوى المعتزلة ، وإن خالفوا ما ورد به ظواهر الأخبار ، إلا أنهم لم يشيدوا أصول الخلاف ، ولم يظهروا قوة براهينهم عند الرجوع إلى العقل . ((لما ورد به ظاهر السنة ، و جرى عليه جماعة من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - في باب العقائد)) : متعلق بقوله جرى .

واصل بن عطاء قائد الوصلية اعتراله؟ يدور على أربع

((و ذلك لأن رئيسهم واصل بن عطاء)) : قائد الوصلية من القدرية المعتزلة " أبوحذيفة " كان تلميذاً " الحسن البصري " ، يقرأ عليه العلوم و الأخبار ، و كان في أيام عبد الملك و هشام بن عبد الملك . و اعترالهم يدور على أربع قواعد : القاعدة الأولى : القول بنفي صفات الباري سبحانه : من العلم و القدرة و الإرادة و الحياة و غيرها : من الصفات الحقيقية الذاتية . و كانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة ، و كان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر ، و هو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، قال : و من أثبت معنى و صفة قديمة فقد أثبت إلهين ، و إنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة ، و انتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات .

القاعدة الثانية : القول بالقدر ، و ذلك لأن الاختلافات في الأصول حدثت في أواخر أيام الصحابة ، بدعة معبد الجهيني و غيلان الدمشقي و يونس الأسواري في القول بالقدر ، و إنكار إضافة الخير و الشر إلى القدر ، و نسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال ، و قرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر ما كان يقرر قاعدة الصفات ، فقال : " إن الباري سبحانه حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر و ظلم ، و لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر و يحكم عليه شيئاً ، ثم يجازيهم عليه ، فالعبد هو الفاعل للخير و الشر و الإيمان و الكفر و الطاعة و المعصية ، و هو المجازي على فعله ، و الرب سبحانه أقدره على ذلك كله ، و أفعال العباد محصورة في الحركات و السكنات و الاعتمادات و النظر و العلم " ، قال : " و يستحيل أن يخاطب " بإفعل " ، و هو لا يمكنه أن يفعل ، و هو يحس من نفسه الاقتدار و الفعل ، و من أنكره فقد أنكر الضرورة " ، و استدلل بآيات على هذه الكلمات ، فافهم .

..... اعتزل عن مجلس الحسن البصري - رحمه الله - ويقرر أن من ارتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، و ثبتت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن: " قد اعتزل عنا " فسموا المعتزلة ، وهم سموا أنفسهم " أصحاب العدل و التوحيد " لقولهم بوجوب ثواب المطيع و عقاب العاصي على الله تعالى ، و نفي الصفات القديمة عنه

إثبات المنزلة بين المنزلتين والسبب فيه

القاعدة الثالثة : القول بالمنزلة بين المنزلتين ، و إلى هذا أشار بقوله ((اعتزل عن مجلس الحسن البصري)) يقرر أن من ارتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، و ثبتت المنزلة بين المنزلتين ، فقال الحسن : " قد اعتزل عنا " فسموا المعتزلة)) : و السبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصري ، فقال : " يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا طائفة يكفرون أصحاب الكبائر ، و الكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة الإسلامية ، و هم الوعيدية الخارجية ، و فرقة يرجؤون أصحاب الكبائر ، و الكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذ هبهم ليس ركنا من الإيمان ، و لا يضر مع الإيمان المعصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، و هم المرجئة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً " . فتفكر الحسن في ذلك ، و قبل أن يجيب قام واصل بن عطاء ، و قال : أنا لا أقول : إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر ، و اعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد ، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسعي هو و أصحابه معتزلة و هم أبغض خلق الله : و ذلك لأن إخراج أهل الحق من الإيمان محض هذيان . و قال فريد الدمر وحيد العصر الشيخ محمد زاهد الكوثري : و هم سموا أنفسهم معتزلة ، و ذلك عند ما بايع الحسن بن علي معاوية ، و سلم إليه الأمر واعتزلوا الحسن و معاوية و جميع الناس ، و ذلك : أنهم كانوا من أصحاب أمير المؤمنين علي ، و لزموا منازلهم و مساجدهم ، و قالوا نشتغل بالعلم و العبادة فسموا بذلك معتزلة .

المعتزلة سمو أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد

وقال الشارح - قدس سره - ((وهم سمو أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد)) :
و يلقبون بالقدريّة ، و هم قد جعلوا لفظ القدريّة مشتركاً ، و قالوا : لفظ القدريّة يطلق على من يقول بالقدر خيره و شره احترازاً عن وصمة اللقب ، إذ كان الذم به متفقاً عليه لحديث رسول الله ﷺ : القدريّة مجوس هذه الأمة . و كانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبريّة و القدريّة متقابلتان تقابل التضاد ، فكيف يطلق لفظ الضد على الضد ؟ و قد قال النبي ﷺ : " القدريّة خصماء لله في القدر " . و الخصومة في القدر و انقسام الخير و الشر على فعل الله و فعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم و التوكل و إحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم و الحكم المحكوم .

قالوا بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي

أما العلة لتسميتهم أنفسهم أصحاب العدل ، ف ((لقولهم بوجوب ثواب المطيع و عقاب العاصي على الله تعالى)) : أقول : لا يليق بمسلم أن يعتقد أن الله سبحانه يجب عليه شيء لأن ذلك نقص يتنزّه الله سبحانه عنه ، و هذا أمر جلي لا يخفى على أحد : لأن الوجوب ينافي الألوهية و وجوب الوجود . ولكن ذلك لم يمتنع فرقة عظيمة من المسلمين هي المعتزلة من القول بوجوب الصلاح ؛ و الأصلح ما قال البحر الذخار صاحب " الملل و النحل " : و أما العدل على مذهب أهل الاعتزال فما يقتضيه العقل من الحكمة ، و هو إصدار الفعل على وجه الصواب و المصلحة ، و اتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح و الخير ، و يجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، و على مذاهب أهل السنة فإن الله سبحانه عدل في أفعاله بمعنى أنه متصرف في ملكه و مُلكه ، يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد . فالعدل وضع الشيء موضعه ، و هو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة و العلم ، و الظلم بضده ، فلا يتصور منه جور في الحكم و ظلم في التصرف .

قالوا بنفي الصفات الأزلية والرد عليهم

و أما العلة لتسميتهم أصحاب التوحيد فأشار إليها بقوله : ((و نفي الصفات القديمة عنه)) : يعني و الذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله سبحانه قديم و القدم أخص وصف ذاته ، و نفوا الصفات القديمة الأزلية أصلاً و رأساً ، فقالوا : هو عالم بذاته حي بذاته لا بعلم و قدرة و حياة ، هي صفات قديمة و معان قائمة به ، لأنه لو شاركتها الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركتها في الألومية . قال أبو الهذيل رأس الهذيلية شيخ المعتزلة و مقدم الطائفة و مقرر الطريقة و المناظر عليها : أخذ الاعتزال عن " عثمان بن خالد الطويل " عن واصل بن عطاء ، إن الباري سبحانه عالم بعلم ، و علمه ذاته ، قادر بقدرة ، و قدرته ذاته ، حي بحياة ، و حياته ذاته ، و إنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ما ، و إنما الصفات ليست وراء الذات و ليست معان قائمة بذاته بل هي ذاته .

الفرق بين قول القائل : عالم بذاته لا بعلم ، وبين قول القائل :

عالم بعلم هو ذاته

و الفرق بين قول القائل عالم بذاته لا بعلم و بين قول القائل عالم بعلم هو ذاته : أن الأول هو نفي الصفة ، و الثاني هو إثبات ما هو بعينه صفة ، أو إثبات صفة هي بعينها ذات . و قال البحر الزخار صاحب " الملل و النحل " : و أما التوحيد فقد قال أهل السنة و جميع الصفاتية : إن الله سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له ، و واحد في صفاته الأزلية لانظير له ، و واحد في أفعاله لاشريك له . و قال أهل العدل : إن الله سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له و لا صفة له ، و واحد في أفعاله لاشريك له ، فلا قديم غير ذاته و لا قسيم له في أفعاله ، و محال وجود قديمين ، و كذلك وجود مقدارين بين قادرين محال ؛ و ذلك هو التوحيد . فالمعتزلة غالوا في التوحيد بزعمهم ، حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات ، و المشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام ، و الروافض غالوا في النبوة و الإمامة حتى وصلوا إلى الحلول ، و الخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال ، و قالوا : لا حكم إلا لله .

..... ثم إنهم توغّلوا في علم الكلام ، و تشبثوا بأذيال الفلاسفة في كثير من من الأصول و الأحكام ، و شاع مذهبهم في ما بين الناس، إلى أن قال الشيخ ابوالحسن الأشعري لأستاذه أبي علي الجبائي : ما تقول في ثلاثة إخوة : مات أحدهم مطيعاً و الآخر عاصياً و الثالث صغيراً ، فقال : إن الأول يثاب في الجنة ، و الثاني يعاقب بالنار . و الثالث لا يثاب و لا يعاقب ، فقال الأشعري: ((فإن قال الثالث : يا رب ! لم أمتني صغيراً و ما أبقيتني إلى أن أكبر ، ؟ فأومن بك و أطيعك ، فأدخل الجنة ، فماذا يقول الرب))؟، فقال : يقول الرب : ((إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار ، فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً)) فقال الأشعري : فإن قال الثاني : يارب لم لم تمتني صغيراً لئلا أعصي لك فلا أدخل النار ، فماذا يقول الرب ؟ ، فبهت الجبائي

((ثم إنهم توغّلوا في علم الكلام و تشبثوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الأصول و الأحكام ، و شاع مذ مذهبهم في ما بين الناس)) : يعني ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون ، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام ، و أفردتها فنا من فنون العلم ، و سميتها باسم الكلام ؛ إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها و تقاتلوا عليها هي مسألة الكلام ، فسمى النوع باسمها ، و إما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق ، و المنطق و الكلام مترادفان . و المتأخرون منهم : الجبائي و ابنه أبو هاشم ، و القاضي عبد الجبار ، و أبو الحسين البصري قد لخصوا طرق أصحابهم ، و انفردوا عنهم بمسائل ، كما سيأتي . و أما رونق علم الكلام فابتدأه من الخلفاء العباسية هارون و المأمون و الواثق و المتوكل ، و انتهأه من صاحب بن عباد و جماعة من الديلمة .

مناظرة الشيخ مع شيخه أبي على الجبائي

((إلى أن قال الشيخ أبو الحسن الأشعري لأستاذه أبي على الجبائي)) : رأس المعتزلة في أواخر ثلاث مئة فما بعدما ، وكان الأشعري تلميذه وعلى مذهبه ، فتاب و صار إماماً في السنة . ((ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعاً والآخر عاصياً والثالث صغيراً ، فقال : إن الأول يثاب في الجنة ، والثاني يعاقب بالنار)) : وذلك لأن بمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي ، إلا أن التوقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع .

القول بوجوب الأصلح والرد عليه بوجوه

فإنهم يوجبون على الله سبحانه أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح في دينه . وأما في الدنيا فالبغداديون من المعتزلة يوجبونه أيضاً ، والبصريون لا يوجبونه ، والحق من جانب أهل الحق أن ما هو الأصلح للعبد فليس بواجب على الله سبحانه ، وإلا لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة ، فإن العدم أصلح له من الوجود في عالم الشهود . ولما كان له سبحانه منة على العباد وقد قال الله سبحانه : ﴿ بل الله يمين عليكم أن هذا كم للإيمان ﴾ ولما كان امتنانه على الأنبياء فوق إمتنانه على فرعون و قارون وهامان وأبي جهل وأبي لهب وغيرهم من الأغبياء الأشقياء . وحاصله أن مفساد هذا الأصل :- وهو وجوب الأصلح - أظهر من أن تخفى وأكثر من أن تحصي ، وذلك لقصور نظر في المعارف الإلهية .

((والثالث لا يثاب ولا يعاقب)) : لأن دخول الجنة ودخول النار على وجه الاستحقاق . ((فقال الأشعري : فإن قال الثالث : يا رب ! لم أمتني صغيراً وما أبقيتني إلى أن أكبر ؛ ؟ فأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة ، فماذا يقول الرب ؟ فقال : يقول الرب : إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار ، فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً ، فقال الأشعري : فإن قال الثاني : يا رب ! لم تمتني صغيراً لئلا أعصي لك ، فلا أدخل النار ، فماذا يقول الرب ؟ فبهت الجبائي)) : يعني جعل متحيراً مدهوشاً ، ولم يقدر على الجواب .

..... وترك الأشعري مذهبه ، فاشتغل هو و من تبعه بإبطال رأي المعتزلة و إثبات ماورد به السنة ، و مضى عليه الجماعة . فسموا أهل السنة و الجماعة ثم لما نقلت الفلسفة عن اليونانية إلى العربية و خاض فيها الإسلاميون ، و حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة

((و ترك الأشعري)) : من هذا الوجه . ((مذهبه)) : و كان معتزليا جبائيا . ((فاشتغل هو و من تبعه بإبطال رأي المعتزلة ، و إثبات ما ورد به السنة ، و مضى عليه الجماعة)) : يعنى لما جرت مناظرة بين الشيخ أبى الحسن الأشعري و بين أستاذه أبى علي الجبائي في بعض المسائل ، و ألزمه أموراً لم يخرج عنها بجواب ، فأعرض عنه ، و انحاز إلى طائفة السلف ، و نصر مذهبهم على قاعدة كلامية ، فصار ذلك مذهباً منفرداً ، و قد قررت طريقته جماعة من المحققين : مثل القاضي الباقلاني ، و الأستاذ أبى إسحاق الأسفرائيني ، و الأستاذ أبى بكر بن فورك ، و ليس بينهم كثير اختلاف . ((فسموا)) : يعنى الشيخ الأشعري و من تبعه ((أهل السنة و الجماعة)) :

المراد بأهل السنة في عرف الناس اليوم والرد على من لا وقوف له

إن المراد بـ " أهل السنة و الجماعة " في عرف الناس اليوم : الشيخ " أبو الحسن الأشعري " و أتباعه من المالكية و الشافعية و الحنبلية و من سبقه بالزمان : كالشيخ علم الهدى " أبى المنصور الماتريدي " و أتباعه من الحنفية ، و قد كان الماتريدي إماماً عظيماً في السنة كالشيخ أبى الحسن الأشعري ، و لكن لما غلب أصحاب الشيخ أبى الحسن الأشعري على أصحاب الماتريدي ، كان الماتريدي أقل شهرةً ، فإن أتباع الماتريدي ما وراء النهر سياحون فقط . و أما أتباع الشيخ أبى الحسن الأشعري فهم منتشرون في أكثر بلاد الإسلام ، و ليس بين المحققين من كل من الأشعرية و الماتريدية

اختلاف محقق ، بحيث ينسب كل واحد صاحبه إلى البدعة و الضلالة ، و إنما ذلك اختلاف في بعض المسائل ، و سيأتي تفصيلها .

من قال : الماتريديّة من أتباع الأشعرية فهو خطأ فاحش

و قد ظهر لك أن الأشعرية طائفة من الجماعة ، و الماتريديّة فرقة أخرى منها ، فما قال بعض من لا وقوف له : إن الماتريديّة من أتباع الأشعرية ، فهو أفحش الخطأ من وجهين : الوجه الأول : تباين الأصول و كثرة الخلاف بين الطائفتين ، قال الإمام صدر الإسلام أبو اليسر البزدوي : " قد صنف أبو الحسن الأشعري كتباً كثيرة لتصحيح مذهب المعتزلة ، ثم إن الله - عز وجل - لما تفضل عليه بالهدى صنف كتاباً ناقضاً لما صنفه . أولاً : إلا أن أصحابنا أهل السنة و الجماعة أخطؤوه في بعض المسائل ، و يطول تعداد ما أخطؤوه فيه ، فمن وقف على تلك المسائل و عرف خطأه فلا بأس بالنظر في كتبه " ، هذا كلامه بلفظه . و الوجه الثاني : عدم صحة نسبة الاتباع ، فإن الماتريدي و الأشعري من أهل العصر الواحد ، متقارباً نفي المولد و الوفاة ، و كان الأشعري ببغداد و الماتريدي بسمرقند ، و لم ينقل عنهما لقاء و لا سماع ، فضلاً عن الاقتداء و الاتباع على ما يشهد به صحائف التاريخ و الطبقات ، و لكن لما شاع في بلاد خراسان و ما وراء النهر في الأعصار المتأخرة ، الاشتغال بالكلام ، ظهر فيها مذهب الأشعري هذا الظهور ، و انتظم ناموسه ، أغفل المتأخرون ذكر الحنفية الماتريديّة ، و ذكر أصولهم و عقائد مم أصلاً و رأساً ؛ إلا لنكتة شاذة ربما اعتورت على أبصار أفكارهم ، أشاروا إليها تزييفاً ، و نسبوها إلى الماتريدي ، إذا لم يكن لهم خبرة بأصول المذهب - و الله أعلم بالصواب .

((ثم لما نقلت الفلسفة)) : و هي الحكمة اليونانية ((عن اليونانية إلى العربية)) : و الفلسفة لا تختص بأمة من الأمم بل هي موجودة في سائر الأمم ، و إن كانت المعروفة عند الناس هي الفلسفة اليونانية ((و خاض فيها الإسلاميون ، و حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة)) : يعني في المسائل التي خالفوا فيه الشريعة .

..... فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ؛ ليحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها - و هلم جراً - إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبعيات و الإلهيات ، و خاضوا في الرياضيات ؛ حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة ، لو لا اشتماله على السمعيات ، و هذا هو كلام المتأخرين . و بالجملة هو أشرف العلوم ؛ لكونه أساس الأحكام الشرعية و رئيس العلوم الدينية ، و كون معلوماته العقائد الإسلامية . و غايته الفوز بالسعادات الدينية و الدنيوية ، و براهينه الحجج القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية

((فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ، ليحققوا مقاصدها ، فيتمكنوا من إبطالها^(١) - و هلم جراً - إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبعيات)) : مشامير مباحثها و مسائلها . مثل : مسألة المكان و الحيز و تنامي الزمان و عدمه ، و مسألة حركة الأفلاك و تناميها ، و مسألة حدوث النفس و تجردا و ماديتها . ((و الإلهيات)) : و هي مباحث الذات و صفاته و عن المعتقدات الدينية . ((و خاضوا في الرياضيات)) : و قد خلطوا فيه كثيراً من مباحث الهيئة و الهندسة مثل مقادير حركات الأفلاك و هيئاتها و أجزائها . ((حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة ، لولا اشتماله على السمعيات)) : هي النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية ((و هذا)) : يعني هذا العلم المخلوط بالمباحث الفلسفية لتحقيق مقاصدها وردما . ((هو كلام المتأخرين)) : يعني الباحث عنه أنظار المتأخرين ((و بالجملة)) : يعني على كل وجه و تقدير سواء كان علم الكلام للقدماء أو للمتأخرين . ((هو أشرف العلوم ؛ لكونه أساس الأحكام الشرعية و رئيس العلوم الدينية و كون معلوماته العقائد الإسلامية . و غايته الفوز بالسعادات الدينية و الدنيوية ، و براهينه الحجج القطعية)) : يعني الدلائل العقلية ((المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية)) : يعني بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية .

(١) يعني فاضطروا لإدراجها في مؤلفاتهم ؛ لأجل ان يتمكنوا من الرد عليهم ببيان المقصود منها و إيضاح مفاسدها ، فقد فعلوا المناسب في ذلك الزمان فظهر أنهم معذورون في إدراجها ولا لوم عليهم في ذلك ، ولا يصح وجه الذم إليهم . ١٢ .

شرف العلم يكون بأحد أمور ثلاثة

و الحاصل : أن شرف العلم يكون بأحد أمور ثلاثة : شرف المعلوم و شرف الغاية و وثاقفة الدلائل ، و قد اجتمعت هذه الثلاثة لعلم الكلام ، و التفصيل و التحقيق : لما كان عظم العلم بعظم الموضوع و شرفه بشرف الغاية و بقوة حجته و دليله و باستقامة أصوله . يعني قواعده الكلية مثل : كونه سبحانه فاعلاً مختاراً ، و فروعاً يعني : المسائل التي تتفرع على القواعد الكلية مثل : بعثة الأنبياء و حشر الأجساد . و لما كان كل علم موضوعه أعظم و غايته أشرف و حجته و دليله أقوى و أصوله و فروعاً أقوم ، فكان ذلك العلم أعظم و أشرف و أعظم العلوم موضوعاً و أشرفها غايةً و أقواماً حجةً و برهاناً و أقومها أصولاً و فروعاً ، و هو العلم المسى بالكلام ، فإنه هو الكافل بإظهار صفات ذاته سبحانه عن صفات الأفعال . أما إن أعظم العلوم موضوعاً ، فإن موضوعه ذات الله سبحانه و ذوات المخلوقات ، لأنه يبحث فيه عن صفات الله سبحانه و أحوال المخلوقات ، من حيث أنها توصل إلى اليقين ؛ فيما يجب الإيمان به ، فإنه يبحث فيه عما يجب للباري سبحانه : كالقدم و الوحدة و العلم و القدرة و الإرادة و المشيئة و نحوها ، و عما يمتنع عليه : كالحادث و التعدد و الجهة و الجسمية و الجومرية و نحوها ، و عن أحوال الجسم و العرض : من الحادث و الافتقار و التأليف من الأجزاء و قبول الفناء و نحوها . و أما إن علم الكلام أشرف العلوم غايةً ، فإن غايته هو الفوز بالسعادات الدينية و الدنيوية ، أو أن يصير الإيمان و الإذعان بالأحكام الشرعية محكماً . أما إنه أقوى العلوم حجةً و برهاناً ، فلأن حجته برهان قاطع . و أما إنه أقوى العلوم أصولاً و فروعاً فإما بالنسبة إلى العلوم الشرعية فلا يقيني و سائرهما ظني ، و إما بالنسبة إلى الإلهي على طريق الفيلسوف فلأنه مستند إلى الوحي المفيد حق اليقين و التأييد الإلهي ، المستلزم لكمال العرفان ، المنزه عن شائبة الوهم ، بخلاف الإلهي على طريق الفيلسوف ، فإنه مبني على العقل الذي يعارضه الوهم ، و إذ كان الأصول كذلك ، و الفروع المستنبطة كذلك فقال قدس سره :

..... و ما نقل عن السلف من الطعن فيه و المنع عنه فإنما هو للمتعصب في الدين ، والقاصر عن تحصيل اليقين ، و القاصد إلى إفساد عقائد المسلمين ، و الخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين

طعن السلف في الكلام والجواب عنه

((و ما نقل عن السلف من الطعن فيه و المنع عنه)) : قال الحافظ " تقي الدين السبكي الكبير " : ليس على العقائد أضر من شيئين : علم الكلام و الحكمة اليونانية ، و هما في الحقيقة علم واحد ، و هو العلم الإلهي ، لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم و المتكلمون طلبوه بالعقل و النقل معا . و اختلفوا ثلاث فرق : إحداها غلب عليها جانب العقل و هم المعتزلة . و ثانيها غلب عليها جانب النقل و هم الحشوية طائفة رذيلة جهال ينتسبون إلى أحمد بن حنبل ، و أحمد مبرأ منهم ، و منهم أصناف : المشبهة و المجسمة و الكرامية و السالمية ، و سبب تسميتهم حشوية أن طائفة منهم حضروا مجلس الحسن البصري بالبصرة ، و تكلموا بالسقط عنده ، فقال : ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة - يعني جانبها - فتسامع الناس ذلك ، و سموهم الحشوية . و ثالثها ما غلب عليها أحدهما : بل بقي الأمران مرعيين عندهما على حد سواء ، و هم الأشعرية و الماتريدية ، و هم أهل الحق . و جميع الفرق في كلامها مخاطرة ، إما خطأ في بعضه ، و إما سقوط هيبة . و السالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة و التابعون و عموم الناس الباؤون على الفطرة السليمة . و لهذا كان الإمام الشافعي ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام ، و يأمر بالاشتغال بالفقه ، فهو طريق السلامة ، قال الإمام الشافعي لأبي إسحاق المزني : عليك بالفقه و إياك و علم الكلام ، فلأن يقال لك : أخطأت خير لك من أن يقال : كفرت . و قال : و حكيم في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد و النعال ، و يقال : هذا جزء من ترك الكتاب و السنة و أقبل على الكلام ، و قال : لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء و ما كنت أظنه ، و لأن يبتلي العبد بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله

خيرٌ من أن يبتلي بالكلام . قال الامام أبويوسف : " من طلب العلم بالكلام تزندق " . و قال الإمام أحمد بن حنبل : " ما ارتد أحد بالكلام فأفلح ، و قلَّ أحد نظر في الكلام إلا كان في قلبه غل على أهل الإسلام " . وقال الآخر : ولقد خُضْتُ البحر الخضمّ وتركته أهل الإسلام و علومهم ، و خضت في الذي نهوني عنه ، و إن لم يدركني ربي برحمته فالويل لي ، و ها أنا ذا أموت على عقيدة أُمي ، و قال الآخر : أكثر الناس شكا عند الموت أرباب الكلام ، و قال الآخر منهم : اشهدوا على أُنِي أموت و ما عرفت شيئاً ؛ إلا أن الممكن مفتقر إلى واجب الوجود ، ثم قال : و الإمكان أمر عديم فلم أعرف شيئاً أصلاً و رأساً . و لأمثال هذه الأقوال المعروفة عن الأئمة ظن بعض الناس أنهم إنما ذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثّة مثل لفظ الجسم و الجوهر و العرض ، و قالوا إن مثل هذا لا يقتضي الذم ، كما لو أحدث الناس آنيةً يحتاجون إليها أو سلاحاً يفتقرون إليه لمقاتلة العدو ، و قد ذكر هذا صاحب " الإحياء " و غيره ، و ليس الأمر كذلك ، بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث ألفاظه ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب و السنة، و كل ما خالف الكتاب و السنة فهو باطل قطعاً و يقيناً ، فأجاب عنه بقوله:

((فإنما هو للمتعصب في الدين)) : و الغرض من هذه العبارة أمران : الأول : تسليم الطعن من السلف فيه ، و مرادهم أنه ممنوع في حق من هو معوج الطبعية و زائغ الفطرة ، ممن يتصور منه العصبية في الدين و الإفساد في عقائد المسلمين ، كما يضر تعلم الفلسفة في حق بعض الناس فيلحدون به . ((و القاصر عن تحصيل اليقين، و القاصد إلى إفساد عقائد المسلمين)) : أو في حق الغبي القاصر عن تحصيل معاني مناصب الجزم و اليقين ((و الخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين)) : أو في حق الخائض المتوغل في غوامض التفلسف من الفضوليات الزائدة، لا يحتاج إليها في تكميل الدين بوجه من الوجوه . و الثاني : عدم تسليم الطعن من السلف بأن هذا الطعن ليس منقولاً عن السلف الصالحين من الأئمة المجتهدين ، بل هو طعن صادر من أرباب التعصب ، أو من القاصرين عن درك درجة هذا العلم .

..... وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات و أساس
المشروعات ؟ ثم لما كان مبنى علم الكلام

((و إلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات و أساس المشروعات)) : ؟ و
إليه مرجع العلوم الدينية و مستند النواميس الشرعية ، و به صلاح العالم و نظامه و
حله و إبرامه ، و الطرق الموصلة إليه يقينيات ، و المسالك المرشدة نحوه قطيعات ، و
ذلك هو العلم الملقب بعلم التوحيد و الصفات الباحث في ذات الله سبحانه و صفاته و
أفعاله و متعلقاته ، صار عند كثير من النظائر المتأخرين هي دين الإسلام و يعتقدون أن
من خالفها فقد خالف دين الإسلام ، فافهم - و الله أعلم بمراد العباد -

التمهيد: بيان وجود حقائق الأشياء في أول المباحث الكلامية

أقول : لما كان المقصود الأعظم من تأليف هذا الكتاب إثبات الصانع و صفاته و
النبوة ، و ما يتعلق بهما من البراهين العقلية المتألفة من مقدمات مأخوذة من الممكنات
بالنظر فيها ، رتب المصنف الكتاب على مقدمة و كتابين و خاتمة : الكتاب الأول في
العقليات ، و الكتاب الثاني في السمعيات . أما المقدمة ففيها مباحث إثبات حقائق
الأشياء و إثبات العلم بها ، و أسباب العلوم عند المشائخ ، فقال : ((ثم لما كان مبنى
علم الكلام)) : توطئة و تمهيداً لبيان وجود حقائق الأشياء في أول المباحث الكلامية ،
مع أصل نظرهم . هو البحث عن ذات الواجب الوجود و توحيده و صفاته ، و ما يتعلق
به من النبوة و غيرها ، فوجهه بأن هذا مقدمة لبيان تلك المباحث المقصودة ، و
المقاصد الأصلية ، من حيث أن العلم بالصانع بطريق الاستدلال ، إنما هو من جهة
الانتقال من المصنوع إليه ، إذ لا بد للمصنوع من الصانع و للممكن من العلة الموجدة
له ، و وجود المصنوع لا يتعلق و لا يتصور اعتقاده إلا باعتقاد وجود . هذه الأشياء
المشاهدة بحقائقها في أنفسها ، و إلا فلا حاجة إلى الموجد للاعتبارات المحضة ، ثم
بعد إثبات بذلك الطريق ينتقل منه إلى توحيده و معرفة صفاته و إرسال أنبيائه .

..... على الاستدلال بوجود المحدثات على وجود الصانع و توحيده و صفاته و أفعاله ثم الانتقال منها إلى سائر السمعيات ، ناسب تصدير الكتاب بالتنبيه على وجود ما يُشاهد من الأعيان و الأعراض و تحقق العلم بها ، ليتوصل بذلك إلى معرفة ما هو المقصود الأهم ، فقال : قال أهل الحق : و هو الحكم المطابق للواقع يطلق علي الأقوال و العقائد و الأديان و المذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ، و يقابله الباطل . و أما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصةً و يقابله الكذب ، و قد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع ، و في الصدق من جانب الحكم ، فمعنى صدق الحكم مطابقتها للواقع ، و معنى حقيته مطابقة الواقع إياه

((على الاستدلال بوجود المحدثات)) : المحدث ما يكون مسبقاً بالعدم و مخرجاً من عدم إلى الوجود . و المعنى : يستدل بحدوث العالم ((على وجود الصانع)) : الوجود ((و توحيده و صفاته)) : نحو العلم و القدرة و الإرادة و غيرها . ((و أفعاله)) : مثل خلق أفعال العباد . ((ثم الانتقال منها)) : يعني من وجود الصانع و توحيده و صفاته و أفعاله . ((إلى سائر السمعيات)) : مثل أحوال الجنة و النار و أحوال عذاب القبر و الصراط و الميزان و غيرها . ((ناسب)) : جزاء لما ((تصدير الكتاب بالتنبيه على وجود ما يشاهد من الأعيان و الأعراض)) : إيماء إلى أن وجودها و العلم بها ضروري لا يحتاج إلى نظر و فكر . ((و تحقق العلم بها)) : و ذلك لأن العلم بها ذريعة و وسيلة إلى العلم بصانعها . ((ليتوصل بذلك إلى معرفة ما هو المقصود الأهم)) : يعني الكلام على وجود الله سبحانه و على صفاته التي هو أهم مقاصد علم الكلام ، يتوقف على أن حقائق الأشياء ثابتة ، و على أن العلم بها و بأحوالها متحقق ، حتى يمكن إثبات الوجود و الصفات له سبحانه . ((فقال : قال أهل الحق)) : هم أهل السنة و الجماعة .

الحق والباطل والصدق والكذب وبيان الفرق

بينهما مفهوما ومصادقا

((و مو)) : يعني الحق ((الحكم)) : يعني إسناد أمر إلى أمر آخر إيجاباً أو سلباً ((المطابق للواقع)) : يعني الخارج الذي يكون لنسبة الكلام خبري . ((يطلق)) : يعني بحسب المصدق والاستعمال ((على الأقوال)) : يقال في الاستعمال : قول حق . ((والعقائد)) : فيقال : عقيدة حقة . ((والأديان)) : فيقال : دين حق ((والمذاهب)) : فيقال : مذهب حق ، وكذا يطلق على العقود والقضايا وإن كانت معقولة ، وكذا يطلق على مضامينها ونسبها ، مثل قولنا : قيام زيد حق ، ونسبة القيام إليه حقة ، قال القاضي الذي له يد بيضاء في التحقيق والتدقيق : والحق هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة من قولهم : حق الأمر إذا ثبت ، ومنه ثوب محقق محكم النسخ انتهى كلامه .

((باعتبار اشتمالها)) : يعني الأمور الأربعة ((على ذلك)) : يعني على الحكم المطابق للواقع ، والمعنى أن هذا الإطلاق نقل عرفي من قبيل إطلاق الجزء على الكل . ((و يقابله الباطل)) : تقابل التضاد أو الإيجاب والسلب ، وهو أيضاً يستعمل في الأشياء المذكورة ، وأنواع المنافاة على ما تقرر في المنطق أربعة : تنافي النقيض ، وتنافي العدم والملكة ، وتنافي الضدين ، وتنافي المتضائفين . ((وأما الصدق)) : يعني أن الصدق مفهومه هو مفهوم الحق ، وأما استعماله فقال : ((فقد شاع في الأقوال خاصة)) : يعني أما شيوعه وكثرة استعماله في الأقوال خاصة ، فيقال : قول صادق ، وأما صدقه وإطلاقه على الاعتقاد والدين والمذهب فليس إلا نادراً ، فثبت من هذا أن بين الحق والصدق عمومًا وخصوصًا مطلقًا باعتبار المصدق ، والصدق خاص مطلقًا ، والحق عام مطلقًا .

((و يقابله الكذب)) : و هو عدم مطابقة حكم الخبر للواقع ، يعني أن الشئيين الذين وقع بينهما نسبة في الخبر ، لا بد أن يكون بينهما نسبة في الواقع ، يعني مع قطع النظر عما في الذهن ، و عما يدل عليه الكلام . فمطابقة

تلك النسبة المفهومة من الكلام للنسبة التي في الخارج بان تكونا ثبوتيتين أو سلبيتين صدق ، و عدمها بان تكون إحداهما ثبوتية و الأخرى سلبية كذب . و فيه إشارة إلى أن المطابقة و عدم المطابقة صفة بالذات للنسبة التامة الإخبارية لا للقضية ، و إنما هي من أوصافها من اتصاف جزئها بها ، و هذا هو مذهب جمهور الفلاسفة ، و لذلك ذهبوا إلى أن التصديق يتعلق بالذات بالنسبة و بواسطتها بالقضية .

و أما إحقاق ما هو الحق و إبطال ما هو الباطل فليس هذا مقامه ، فافهم ((و قد يفرق بينهما)) : يعني بين الحق و الصدق باعتبار المفهوم ، إيماء إلى أنه قد لا يفرق ، و هو شائع ذائع متعارف .

((بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع ، و في الصدق من جانب الحكم ، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ، و معنى حقيته مطابقة الواقع إياه)) : يعني و على عدم الفرق يكون مفهوم الحق و الصدق هو الحكم المطابق للواقع ، و أما على الفرق فمعنى الصدق : هو الحكم من حيث مطابقته للواقع، و هو الأمر الأصلي و المقصود بالذات، و معنى الحق هو الحكم من حيث مطابقته للواقع إياه ، فيكون المقصود بالقصد هو الحكم ، و بلغ في واقعته إلى أنه كأنه هو عين الواقع ، و محصوله هذا فرق بحسب المفهوم ، و ما سبق فرق بحسب المصداق ، فيكونان متحدين بالذات و متغايرين بالاعتبار - و بالله التوفيق .

..... حقائق الأشياء ثابتة : حقيقة الشيء و ماهيته ما به الشيء هو هو :

مقدمة

البحث الأول في إثبات حقائق الأشياء

((حقائق الأشياء ثابتة)) : قال الشارح قدس سره ((حقيقة الشيء و ماهيته)) : إيماء إلى أن الحقيقة و الماهية بمعنى واحد ، و هما لفظان مترادفان لا فرق بينهما بحسب المفهوم لا بحسب الاستعمال ، ثم أشار ثانياً تحت قوله : و قد يقال ، إلى اتحادهما ذاتاً و تغايرهما اعتباراً .

قوله : ما به الشيء هو هو ، و تفسيره على الوجه المختار

((ما به الشيء هو هو)) : بمعنى أمر باعتباره مع الشيء يكون الشيء هو الشيء ، فالضمير الثاني للشيء و الضمير الأول للفعل ، أتى به للدلالة على أن الحقيقة باعتبارها مع الشيء لا تثبت إلا نفسه بخلاف جزء الماهية و عارضها ، فإنهما باعتبارهما مع الشيء لا تثبت إلا جزؤه و عارضه ، و هذا أحسن حل للتعريف ، و قيل : إن الضميرين للشيء ، و المعنى عليه أمر بسببه الشيء ذلك الشيء ، و يرد عليه أنه يصدق التعريف حينئذ على الفاعل ، فإن الشيء إنما يصير الشيء .

بسبب الفاعل و إيجاده إياه ، ورد فإن الفاعل ما بسببه وجود الشيء بأن يكون أثر الفاعل إما نفس ماهية الشيء أو الماهية باعتبار الوجود ، و الخلف بين من قال بجعل الماهية و من لم يقل يفضي ، فالقول بأنها مجعولة ليس إلا بذلك الاعتبار . و إما كون الماهية التي هي الشيء نفسها ليس أثر للفاعل البتة ، إذ لا مغايرة بين الشيء و نفسه ، و السببية بينهما المستفادة من الباء ليست إلا من ضيق العبارة ، و ليس مهنا سببية أصلاً و رأساً و قيل : إن الضمير الثاني للموصول ، و المعنى : الأمر الذي بسببه الشيء ذلك الأمر ، و لا يرد عليه النقض بالفاعل : كما هو ظاهر ، و لكن ينتقض ظاهر التعريف بالعرض ، كالضحك للإنسان ، فإنه أمر بسببه الإنسان ضاحك ، و لا يرد في الحقيقة ، فإن السببية في التعريف بمعنى أن لا يحتاج الشيء في كونه ذلك الأمر إلى غير ذلك الأمر و لا كذلك مثلاً ، فإنه يحتاج إلى غيره ، و هو منشأه ، أعني التعجب . فتأمل و لا تغفل ،

..... كالحيوان الناطق للإنسان بخلاف مثل الضاحك و الكاتب
مما يمكن تصور الإنسان بدونه فإنه من العوارض

((كالحيوان الناطق للإنسان)) : فإنه إنما يكون الإنسان إنساناً ، يعني يتقوم و يتحصل بالحيوان الناطق ، و يتصور إنسانيته باعتباره ، و لا يمكن تصوره بالكنه بدون تصور الحيوان الناطق ، و إن أمكن تصوره بكنهه الإجمالي أو بالوجه بدون ذلك ((بخلاف مثل الضاحك و الكاتب ، مما يمكن تصور الإنسان)) : يعني التصور بالكنه ((بدونه)) : يعني بدون الضاحك و الكاتب ، فيكون تصوره بدونه ممكناً بخلاف الذاتيات ؛ لأن تصوره بالكنه بدونها مستحيل عقلاً ، و يدخل العرضيات كلها حتى اللوازم البينة بالمعنى الأخص ؛ لأن تصورها ليس في مرتبة تصور نفس ذاته الذي هو مرتبة مقدمة بالذات على مرتبة العوارض ، و إن كان تصورها لازماً لتصوره في الواقع . ((فإنه من العوارض)) : يعني أن العرض مما يمكن أن تتصور الماهية بدونه ، و الذاتي بخلافه .

قال بعض الناس: فاللازم البين والجواب عنه بوجوه

قال بعض الناس : فاللازم البين بالمعنى الأخص لا يمكن التصور بدونه ، فيلزم أن يخرج من العرضي ، و يدخل في الذاتي . و الجواب عنه بوجوه : إما أولاً : بأن ذلك اللازم . لا يمكن التصور بدونه إذا كان الملزوم ملحوظاً قصداً ، أما إذ لوحظ من حيث كونه لازماً للملزم آخر مثلاً ، فيمكن التصور بدونه : و إلا يلزم أن ينتقل الذهن عن ملزوم واحد إلى لازمه و إلى لازم لازمه ، و هكذا حتى يحصل اللوازم كلها بأسرها ، و ليس كذلك ، و إما ثانياً : بأن المراد من عدم إمكان التصور بدون الذاتي عدم إمكان ملاحظته مجرداً عن الماهية ، و اللازم البين بالمعنى الأخص يمكن فيه ذلك مثل سائر العرضيات ، و إما ثالثاً : بأن المراد من التصور هو التصور بطريق الاكتساب ، و ذلك اللازم و إن شارك الذاتي في عدم إمكان التصور بدونه إلا أن الذاتي بحيث يكتسب منه التصور بالكنه بخلاف اللازم .

..... و قد يقال إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة و باعتبار تشخصه هوية و مع قطع النظر عن ذلك ماهية

((وقد يقال)) : يعني أن الحقيقة و الماهية بمعنى واحد ، و هو ما تقدم .

قوله: وقيل بيان الفرق بين الحقيقة والماهية

وقيل : ((إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه)) : يعني في الخارج ((حقيقة و باعتبار تشخصه هوية)) : يعني أما الهوية فهي مجموع الماهية و التشخص . ((و مع قطع النظر عن ذلك ماهية)) : يعني باعتبار سنخ ذاته و تجوهر حقيقته ماهية . و تحقيقه : إن لكل شيء حقيقة هو بها هو ، و هي مغايرة لما عداها ، فإن الإنسان مثلاً في نفسه لا واحد ولا كثير ولا كلي ولا جزئي ولا عام ولا خاص ، يعني لا يدخل شيء منها في مفهومه ، و إن لم يخل عنها ، و لو دخل أحد هذه الاعتبارات في مفهومه لما صدق الإنسان على ما ينافيه : مثلاً لو دخلت الوحدة في مفهومه لما صدق الإنسان على الإنسان الكثير ، فالماهية شيء و مع واحد من هذه الاعتبارات عليها شيء آخر ، و لا يصدق أحد هذه الاعتبارات عليها إلا بضم زائد ، و أما كونها ماهية فبذاتها فإن الإنسان إنسان بذاته لا بشيء آخر ينضم إليه ، و بالإنسان واحد لا بذاته بل بضم صفة الوحدة إليه ، فإن الإنسان من حيث هو هو من غير التفات إلى أن يقارنه الشيء أولاً ، بل يلتفت إلى مفهومه من حيث هو هو يسمى المطلق و الماهية لا بشرط الشيء ، و إن أخذ الإنسان مع المشخصات و اللواحق يسمى مخلوطاً و الماهية بشرط الشيء و هو الموجود في الخارج ، و كذا الأول يعني : المطلق موجود أيضاً في الخارج ، لأنه جزء من المخلوط الموجود في الخارج ، و جزء الموجود في الخارج موجود في الخارج ، و إن أخذ الإنسان بشرط العُرْي عن المشخصات و اللواحق يسمى المجرد و الماهية بشرط لا شيء ، و ذلك غير موجود في الخارج : لأن الوجود الخارجي أيضاً من العوارض و قد فرض مجرداً عنها ، بل إنما يكون في العقل ، و إن كان كونه في العقل من اللواحق إلا أن المراد تجريده عن اللواحق الخارجية ، فالمجرد و المخلوط متبائن أخصان مندرجان تحت أعم و هو الكلي المطلق ، فتفكر .

..... و الشيء عندنا هو الموجود و الثبوت و التحقق و الوجود و الكون ألفاظ مترادفة معناها بديهي التصور

اختلاف الناس في أن المعدوم الممكن الوجود ثابت في الخارج أم لا

((و الشيء عندنا)) : يعني أهل السنة و الجماعة ((هو الموجود)) : يعني المعدوم ليس بشيء ثابت في الخارج ؛ خلافا للمعتزلة القائلين بأن المعدوم الممكن الوجود ثابت في الخارج أقول : المعدوم ليس بشيء لا خلاف في أن المنفي : يعني الممتنع لذاته ، ليس بشيء في الخارج ، وإنما الخلاف في أن المعدوم الممكن هو شيء في الخارج على معنى : أن له تقررا في الخارج منفكا عن الوجود ، فمن قال : إن الوجود عين الماهية لا يمكنه أن يقول بأن المعدوم الممكن شيء في الخارج ، و إلا لزم اجتماع النقيضين : و هو الوجود و العدم ، أما الذين قالوا : الوجود زائد على الماهية فقد اختلفوا فيه ، فمنهم من منع كون المعدوم الممكن شيئا ثابتا في الخارج ، و هو مذهب الأشاعرة و الفلاسفة ، و عليه أبو الهذيل و أبو الحسين من مشائخ المعتزلة ، و احتجوا على أن المعدوم الممكن ليس بشيء في الخارج بأن المعدوم إن كان مساويا للمنفي أو أخص منه مطلقاً صدق كل معدوم منفي ، و لا شيء من المنفي بثابت في الخارج فلا لشيء شيء من المعدوم بثابت في الخارج ، و هو المطلوب ، و إن كان المعدوم أعم مطلقا من المنفي لم يكن المعدوم نفياً محضاً ؛ لأنه لو كان نفياً محضاً لم يكن فرق بين العام و الخاص ، و إن لم يكن نفياً محضاً كان ثابتاً ، و هو مقول على المنفي فيصدق قولنا : كل منفي معدوم، لصدق العام على كل أفراد الخاص، و كل معدوم ثابت ، فكل منفي ثابت ، هذا خلف . فافهم . و احتجت المعتزلة على أن المعدوم ثابت بوجهين :

الوجه الأول : إن المعدوم متميز و كل متميز ثابت ، فالمعدوم ثابت . أما إن المعدوم

متميز فلثلاثة أوجه : الوجه الأول : إن المعدوم معلوم ، فإن طلوع الشمس غداً معلوم الآن ، وهو معدوم ، وكل معلوم متميز ، فإن كل أحد يتميز بين الحركة التي يقدر عليها وبين الحركة التي لا يقدر عليها ، ويميز بين طلوع الشمس من مشرقها ومن مغربها .

الوجه الثاني : إن المعدوم مقدور لنا ، فإن الحركة يمينة ويسرة مقدورة لنا ، وهي معدومة ، وكل مقدور متميز ، فإنه يصح أن يقال : الحركة يمينة ويسرة مقدورة لنا ، وخلق السماوات والأرض غير مقدور لنا ، وهذا الامتياز حاصل لنا قبل دخول هذه الأشياء في الوجود ، فلو لا تميز هذه المعدومات بعضها عن البعض قبل الوجود لاستحال أن يقال: إنه يصح منا فعل كذا ، ولا يصح منا فعل كذا .

الوجه الثالث: إن المعدوم مراد ، فإن الواحد منا قد يريد شيئاً كلقاء الصديق ، و قد يكره شيئاً كلقاء العدو ، وإن كان المراد والمكروه بعد معدومين ، ولولا امتياز المراد عن المكروه قبل الوجود لاستحال أن يكون أحدهما مراداً والآخر مكروهاً ، فثبت أن المعدوم الممكن متميز . وأما إن كل متميز ثابت فلأن التميز صفة ثابتة للمتميز ، وثبوت الصفة للموصوف فرع ثبوت الموصوف . الوجه الثاني : إن الامتناع نفي لأنه وصف الممتنع المنفي ، فلو كان الامتناع ثابتاً لكان الممتنع الموصوف به ثابتاً ؛ لأن ثبوت الصفة فرع ثبوت الموصوف ، لكن الممتنع ليس بثابت فلا يكون الامتناع ثابتاً ، وإذا لم يكن الامتناع ثابتاً ، يكون الإمكان ثابتاً لأن أحد النقيضين إذا كان غير ثابت يكون الآخر ثابتاً وإذا كان الإمكان ثابتاً يكون المعدوم الممكن المتصف بالإمكان ثابتاً ، فثبت أن المعدوم الممكن ثابت ، وهو المطلوب . فافهم .

و أجيب عن الأول بالتنقض الإجمالي : بأنه لو كان الاحتياج المذكور صحيحاً لزم أن يكون الممتنعات والخياليات : مثل بحر من زبق وجبل من الياقوت ، والمركبات التي تتألف عن اجتماع الأجزاء وتماسها على وجه مخصوص ، ثابتة في الخارج ، وليس كذلك عندهم ، وإنما قلنا : يلزم ذلك ؛ لأن هذه الأمور متميزة ، وكل متميز ثابت في

الخارج ، فهذه الأمور ثابتة في الخارج . و أجيب أيضاً عن الوجه الأول بالمنع على سبيل التفصيل ، و هو أن يقال : إن أريد بالتميز التميز في الذهن فالصغرى مسلمة و الكبرى ممنوعة ، فإنه لا يلزم من كون الشيء متميزاً في الذهن ثبوته في الخارج ، و إلا يلزم أن تكون الخياليات و الممتنعات و المركبات ثابتة في الخارج ، و ليس كذلك بالاتفاق ، و إن أريد التميز في الخارج فالكبرى مسلمة و الصغرى ممنوعة ، فإن كون المعدوم معلوماً و مقدراً و مراداً لا يقتضي تميزاً في الخارج . و أجيب عن الوجه الثاني : بأن الإمكان و الامتناع من الاعتبارات العقلية لا من الأمور الخارجية ، فلا يلزم من كون أحد هما نفياً كون الآخر ثابتاً في الخارج . فافهم .

((و الثبوت)) : معناه في الفارسية " بودن " و هو المعنى المصدري الاعتباري المأخوذ من الشيء المقرر المرتب عليه الآثار ، و قد يراد بالوجود ما هو منشأ انتزاع الوجود المصدري ، و هو الوجود الحقيقي الذي به الوجودية ، و فيه اختلاف فاش مبسوط في محله و موضعه . ((و التحقق و الوجود الكون ألفاظ مترادفة)) : يعني متحدة و متفقة في المفهوم ، و ذلك لأنهم يسمون اتحاد الألفاظ في المفهوم ترادفاً ، ثم من هذه الألفاظ الأربعة عامتها تطلق على الوجود في نفسه ، و الكون قد يراد به الكون المحمولي ، و هو وجود الشيء في نفسه عرضاً كان أو عيناً ، و قد يراد به الوجود الرابطي ، و هو وجود شيء شيء إما في درجة الحكاية و هو النسبة الإيجابية أو مرتبة المحكي عنه ، و هو صفة للأعراض و الحقائق النعتية بالنسبة إلى محلها سوى الوجود الذي هو العرض عند عامة أهل الكلام و الحكمة فإن الوجود ليس له وجود رابطي بالنسبة إلى محله ((معناها بديهي التصور)) : . يعني لا يجوز تعريفها لغاية ظهورها و وضوحها ، و قد برهن في فن الأمور العامة على أن الوجود بديهي التصور .

..... فإن قيل : فالحكم بثبوت حقائق الأشياء يكون لغواً بمنزلة قولنا : الأمور الثابتة ثابتة

قوله : فإن قيل والجواب عنه

((فإن قيل : فالحكم بثبوت حقائق الأشياء يكون لغواً)) : يعني لقائل أن يقول : إن الحكم على حقائق الأشياء بأنها ثابتة لغوٌ ، إذ حقائق الأشياء نفس تلك الأشياء ، فوجودها وجودها ، و لا معنى لقولنا : الموجودات موجودة . ((بمنزلة قولنا : الأمور الثابتة ثابتة)) : لأن حقيقة الشيء بالمعنى المذكور عين الشيء ، والشيء بمعنى الثابت فحقائق الثابتات هي الثابت بعينها ، فيكون حاصل العبارة الثابتات ثابتة ، قال بعض الأفاضل : منشؤه عدة أمور : الأول حقيقة الشيء عينه ، والثاني أن الشيء بمعنى الموجود ، والثالث أن الوجود والثبوت مترادفان ، فاللغوية إنما نشأت من مجموع أمور ثلاثة . وقد أجيب عنه أولاً بأن المراد بالثبوت المحمول الثبوت الغير التابع للاعتقاد : بأن يراد بالثابت في جانب الموضوع الثابت في اعتقادنا ، وبالثابت في جانب المحمول الثابت في الواقع ، فيكون رداً على فريق من السوفسطائية قال بذلك ، وثانياً بجعل الحكم بالثبوت على الأفراد من الإنسان والفرس وغيرهما بمعنى ، بأن المراد بالأشياء في جانب الموضوع ليس بمعنى مطلق الأمور الثابتة ، بل المراد بها المصاديق الخاصة بأعيانها غير المفهوم الثابت ، فلا يلزم حمل الشيء على نفسه ، وسها بعضهم فقال : المراد بالحقائق ما يجاب بها عن السؤال بما هو ، يعني الطبائع والماهيات الكلية المختلفة في وجودها ، و معلوم أن ذلك مصطلح أهل الميزان ، و نحن فيه و السوفسطائية سواء .

..... قلنا : إن المراد به أن ما نعتقده حقائق الأشياء و نسميه بالأسماء : من الإنسان ، و الفرس ، و السماء ، و الأرض، أمور موجودة في نفس الأمر كما يقال : واجب الوجود موجود ، و هذا كلام مفيد ربما يحتاج إلى البيان ، ليس مثل قولك : الثابت ثابت و لا مثل قولنا : أنا أبو النجم و شعري شعري على ما لا يخفى

قوله: قلنا، حاصله: الموضوع مقيدة بالاعتقاد والمحمول

بالواقع فلا لغوية

((قلنا : إن المراد به أن ما نعتقده حقائق الأشياء و نسميه بالأسماء : من الإنسان و الفرس و السماء و الأرض ، أمور موجودة في نفس الأمر)) : و قال الآخرون : إن المعنى حقائق الموجودات في اعتقادنا ثابتة ، بأن الموضوع مقيد بالاعتقاد و المحمول بالواقع ، فتغaira ، فللغوية . ((كما يقال واجب الوجود موجود)) : يعني أن ما نعتقده واجب الوجود موجود في الواقع ، و هذا استدلال على صحة التأويل ، يعني أن قولهم : واجب الوجود موجود قضية مفيدة وفاقاً ؛ مع أن معنى واجب الوجود هو الموجود الذي وجوده ضروري ، و الوجود ماخوذ في جانب الموضوع ، فيلزم اللغوية لولا هذا التأويل . ((و هذا)) : يعني قولنا : حقائق الأشياء ثابتة ، أو قولنا : ما نعتقده حقائق الأشياء أمور موجودة في الواقع . ((كلام مفيد)) : يعني لا لغو و لا عبث ((ربما يحتاج إلى البيان)) : يعني و يندر احتياجه إلى بيان ، فإن اعتبار ذلك في الموضوع مشهور بين الناس ؛ حتى صار حقيقة عرفية . ((ليس مثل قولك : الثابت ثابت)) : من غير اعتبار الاعتقاد في مفهوم الموضوع ، أو لأن الترادف فيه ظاهر . ((و لا مثل قولنا : أنا أبو النجم)) : لأن الترادف فيه أيضاً ظاهر ؛ لأن الموضوع و المحمول ذات واحد ، و صحة الحمل موقوفة على المغايرة من وجه . ((و شعري شعري على ما لا يخفى)) : يعني بخلاف قوله: و شعري شعري ، فإن تأويله بشعري الآن مثل شعري فيما مضى على سبيل المجاز، محتاج إلى تكلف، فلا يسبق إليه الذهن ، و جعل بعضهم افتقاره إلى البيان غاية في الإفادة ؛ إذ من علامات الإفادة في العبارة افتقاره إلى الدليل ، وليس بشيء ، فإن شعري شعري كذلك ربما يحتاج إلى الدليل لجواز كونه كاذباً في الدعوى البلاغية . فتدبر .

..... و تحقيق ذلك أن الشيء قد يكون له اعتبارات مختلفة ،
 يكون الحكم عليه بشيء مفيداً بالنظر إلى بعض تلك الاعتبارات
 دون البعض كالإنسان ، إذا أخذ من حيث أنه جسم ما كان الحكم
 عليه بالحيوانية مفيداً و إذا أخذ من حيث أنه حيوان ناطق كان
 ذلك لغواً

قوله: وتحقيق ذلك وتفصيل للجواب المذكور

((و تحقيق ذلك)) : يعني هذه الإفادة ((أن الشيء قد يكون له اعتبارات مختلفة
 يكون الحكم عليه بشيء مفيداً بالنظر إلى بعض تلك الاعتبارات دون البعض)) : يعني
 بتفاوت العبارات يتفاوت الاعتبارات ، و بتفاوت الاعتبارات يتفاوت الآثار و الأحكام .
 ((كالإنسان إذا أخذ من حيث أنه جسم ما)) : يعني أن الإنسان إذا لوحظ من حيث
 أنه جسم ما من الأجسام ولا يتصور من حيث أنه حيوان و ناطق ((كان الحكم عليه
 بالحيوانية مفيداً)) : فإذا حمل الحيوان على الإنسان كان مفيداً و معطياً لإدراك
 شيء مجهول لم يكن معلوماً للسامع ، لأن السامع كان يعلمه جسماً و لم يعلمه
 حيواناً . ((و إذا أخذ من حيث أنه حيوان ناطق)) : يعني إذا تصور من حيث أنه
 حيوان ناطق ((كان ذلك)) : يعني الحكم عليه بالحيوانية ((لغواً)) : لأنه مثل قولهم :
 الحيوان الناطق حيوان ، ففي تصور الإنسان جهتان ، و باختلافهما اختلف جهتا
 الإفادة و عدمها ، فكذا للحقائق اعتباران : اعتبار من حيث أنها معلومة ، و اعتبار
 من حيث أنها موجودة ، فالحكم عليها بالثبوت مفيد من حيث أنها معلومة ، و لغو
 من حيث أنها موجودة . و أما أنها ثابتة و إن العلم بها متحقق فقد اختلفوا فيهما ،
 فمنهم من أثبتهما و منهم من أنكرهما . و الفريق الأول هو أهل السنة ، و الثانية
 السوفسطائية ، فقال السنيون : إن حقائق الأشياء ثابتة ، و هذا أحد المقامين ، و قد
 أشار إليه المصنف سابقاً ، و أما المقام الثاني فقد أشار إليه المصنف بقوله :

..... ((و العلم بها)) : أي : بالحقائق من تصوراتها و التصديق بها و بأحوالها متحقق . و قيل : المراد العلم بثبوتها للقطع بأنه لا علم بجميع الحقائق ، و الجواب أن المراد الجنس رَدًّا على القائلين بأنه لا ثبوت لشيء من الحقائق و لا علم بثبوت حقيقة و لا بعدم ثبوتها خلافا للسوفسطائية

((و العلم بها)) : قال الشارح قدس سره : ((أي بالحقائق من تصوراتها)) : بيان للعلم ((و التصديق بها)) : يعني بوجودها في أنفسها ((و بأحوالها)) : يعني التصديق بثبوت الأحوال للحقائق مثل الحدوث و الإمكان . و كونها أعيانا و أعراضا ((متحقق)) واقعي في الواقع ، و ليس معناه أنه موجود في الخارج .

قوله : وقيل ، الرد على القيل

((و قيل :)) : و الغرض منه رد على القيل ((المراد)) : يعني من قول المصنف : و العلم بها متحقق ((العلم بثبوتها)) و ذلك لأن اللام في قوله : الأشياء للاستغراق ، و حقائق مضاف إليه ، فيكون المراد بحقائق الأشياء جميع الحقائق ، و يكون مفهوم العبارة و العلم بجميع الحقائق متحقق ، و هذا محال . ((للقطع بأنه لا علم بجميع الحقائق)) : يعني أن العلم بجميع الحقائق غير ثابت قطعاً : لأن من الحقائق لا تعد و لا تنحصر ، لا يحيط به علم إنسان . و الجواب عنه بوجوه : أما أولاً : فلأن المراد العلم الإجمالي و موثبات قطعاً ، و حاصله : إن أريد به العلم الإجمالي فلا وجه للعدول : لأنه ممكن في العلم بالحقائق أيضاً . و أما ثانياً : فإنه إن أراد بقوله العلم بثبوت الكل ، فهو مجهول ، و إن أراد العلم بثبوت البعض ، فهو حاصل بدون حذف الثبوت في العبارة . و أما ثالثاً : فأجاب قدس سره بقوله :

((و الجواب أن المراد الجنس)) : يعني أن المراد العلم بجنس الحقائق لا بجميعها

وذلك بان ليس اللام في الأشياء للاستغراق بل للجنس ، فالمعنى : جنس حقائق الأشياء ثابت ، و العلم بجنسها متحقق سواء كان تحقق الجنس في بعض الأفراد أو كلها . ((رداً على القائلين بأنه لا ثبوت لشيء من الحقائق)) وهذه قضية سالبة كلية ((ولا علم بثبوت حقيقته ولا بعدم ثبوتها)) وهذه قضية سالبة كلية أخرى ، يعني أن قول المصنف : حقائق الأشياء ثابتة ، قضية موجبة جزئية ، رداً لقولهم بأنه لا ثبوت لشيء من الحقائق ، وقول المصنف : و العلم بها متحقق ، قضية موجبة جزئية أخرى ، رداً لقولهم : و لا علم بثبوت حقيقة الشيء و لا بعدم ثبوتها . و حاصله : إن مدعى السوفسطائية سالبة كلية في المقامين ، و يكفي لدفعها إثبات الموجبة الجزئية - قال الفاضل اللاموري : إن المراد بقوله : حقائق الأشياء ثابتة ، جنس حقائق الأشياء ، فالمعنى : جنس حقائق الأشياء ثابتة ، و العلم بذلك الجنس متحقق سواء كان في ضمن فرد واحد أو أكثر ، فحينئذ يرجع إلى الإيجاب الجزئي ، و ذلك كاف في الرد على الخصم : لأنه يدعى السلب الكلي في المقامين . فتدبر .

التقسيم الضابط

((خلافا للسوفسطائية)) و التقسيم الضابط أن يقول من الناس من لا يقول بمحسوس و لا معقول ، و هم السوفسطائية ، و منهم من يقول بالمحسوس و لا يقول بالمعقول ، و هم الطبيعية ، و منهم من يقول بالمحسوس و المعقول و لا يقول بحدود و أحكام ، و هم الفلاسفة الدهرية ، و منهم من يقول بالمحسوس و المعقول و الحدود و الأحكام ، و لا يقول بالشرعية و الإسلام ، و هم الصائبة ، و منهم من يقول بهذه كلها و بشريعه الإسلام ، و لا يقول بشرعية نبينا و رسولنا ، و هم اليهود المغضوب عليهم و النصارى الضالون ، و منهم من يقول بهذه كلها ، و هم المسلمون .

..... فإن منهم من ينكر حقائق الأشياء ، و يزعم أنها أوهام و
خيالات باطلة

السوفسطائية فرق ثلاث، الفرقة الاولى نفت الحقائق كلها

موجودها و معدومها والرد عليهم

ثم للسوفسطائية فرق ثلاث . ((فإن منهم من ينكر حقائق الأشياء)) :
الطائفة الأولى نفت الحقائق جملةً موجودها و معدومها الذي له ثبوت في
الواقع مطلقاً بتبعية الاعتقاد و بدونه ، فلا رب عندهم و لا نبي و لا عبد . ((و
يزعم أنها)) يعني حقائق الأشياء ((أوهام و خيالات)) يعني متخيلات و
متوهمات ((باطلة)) يعني لا وجود لها في الواقع ، و منشأ ذلك زعمهم أنه ما
من قضية بديهية و نظرية إلا و لها قضية أخرى تعارضها و تماثلها في القوة ،
فلا وجه لثبوت تلك دون هذه ، و هو باطل . أقول: هذا شغب فاسد ، فإن
قالوا : إن هذه الأمور المشاهدة بالعيان لا وجود لها بوجه ما لا حقيقة و لا
مجازاً ، فهو مكابرة محضة و مصادمة للبداية ، و إن قالوا : إنها لا وجود لها
حقيقة و إن كان لها وجود تجوذاً ، و تخيلوا أن لها وجودات حقيقية في الواقع،
فتخيل و وهم محض ، بل كلها هالكة الذات باطلة الحقيقة ، و إسناد الوجود
إليها بنوع من التوسع ، فله وجه ما على ما اختاره أهل التحقيق من أرباب
المعقول و أصحاب الذوق الدقيق من أرباب الزهد . قالوا : إنه لا وجود حقيقة
لهذه الكائنات ، و إنها بعد الإيجاد و الإحداث معراة عن الوجود حقيقةً ، و
ذلك لأن الوجود الحقيقي ليس إلا للباري سبحانه ، و كل شيء هالك إلا
وجهه، و لكن هذا التحقيق بعيد عن أذهان هؤلاء المساكين بمراحل لا يتصور
خطوره ببالهم . شروى نقير. فتأمل و لا تغفل .

..... وهم العنادية ، و منهم من ينكر ثبوتها ، و يزعم أنها تابعة للاعتقاد ، حتى إن اعتقدنا الشيء جوهرًا فجوهرًا ، أو عرضًا فعرض ، أو قديمًا فقديم ، أو حادثًا فحادث ، وهم العندية.....

((وهم العنادية)) : و تسمى تلك الفرقة بالعنادية لعنادهم في الحقائق ، أو لأنهم ينكرون الحق عناداً ، و الفرقة الثانية ، قال : ((و منهم من ينكر ثبوتها)) : يعني ثبوت حقائق الأشياء في الواقع ((و يزعم أنها تابعة للاعتقاد)) : ذمبت إلى أن الحقائق ثابتة في نفس الأمر و لكن بتبعية الاعتقاد ، فلو قطع النظر عنه لم يكن لها ثبوت البتة ((حتى إن اعتقدنا الشيء جوهرًا فجوهرًا)) : و إن اعتقدناه ((أو عرضًا فعرض)) : يعني هو جوهر في حق من يعتقده جوهرًا ، و هو عرض في حق من يعتقده عرضاً . و إن اعتقدناه ((قديمًا فقديم)) : و إن اعتقدناه ((حادثًا فحادث)) : قالوا : هي حق عند من هي عنده حق ، و هي باطل عند من هي عنده باطل ، و منشأ ذلك عندهم ما ثبت أن الصفراوي مثلاً يجد السكر في فمه مرًا ، و هو يدل على أن الحقائق تابعة للاعتقاد ، و تلك الفرقة - كما يصرح مذهبهم - تقول : إن مذهب كل قوم حق بالنسبة إليهم ، و معنى حقيقته مطابقتها لما في نفس الأمر بتبعية اعتقاده ، و قيل : مطابقتها لاعتقاد و لا حاجة إلى تكلفه مع ما قررنا من أن للحقائق عندهم ثبوتًا في نفس الأمر يتبع الاعتقاد . ((و هم العندية)) : و يسمون بالعندية لأن الحقائق تابعة عند هم لما عند هم .

أقول راداً عليهم : إن الشيء لا يكون جوهرًا باعتقاد من اعتقد أنه جوهر ، كما أنه لا يكون عرضًا باعتقاد من اعتقد أنه عرض ، و إنما يكون الشيء عرضًا بكونه .

موجوداً في الموضوع ، و أن الشيء لا يكون قديمًا باعتقاد من اعتقد أنه قديم كما أنه لا يكون حادثًا باعتقاد أنه حادث ، و إنما يكون الشيء قديمًا بكونه لا ابتداء لوجوده و إنما يكون الشيء حادثًا بأن يكون لوجوده ابتداء ، و إن الشيء لا يكون حقًا باعتقاد من اعتقد أنه حق ، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل ، و إنما يكون الشيء حقًا بكونه موجوداً ثابتاً ؛ سواء اعتقد أنه حق أو اعتقد أنه باطل .

..... ومنهم من ينكر العلم بثبوت شيء ولا بثبوته ، و يزعم أنه شاك ، و شاك في أنه شاك - و هلم جراً - و هم اللا أدريه ، و لنا تحقيقاً إنا نجزم بالضرورة بثبوت بعض الأشياء بالعيان و بعضها بالبيان ، و إلزاماً أن لم يتحقق نفي الأشياء فقد ثبت

الفرقة الثالثة ينكرون العلم بثبوت الشيء، وعدمه والرد عليهم

و الفرقة الثالثة قال : ((منهم من ينكر العلم بثبوت الشيء ولا بثبوته)): يعني لا ينكرون نفس الحقائق بل ينكرون العلم بثبوت شيء و عدم ثبوته ((و يزعم أنه شاك ، و شاك في أنه شاك)): يعني ترددت في ثبوت الحقائق حتى في تردها و تشككها في ثبوتها ((و هلم جراً)) : شاك في شك الشك ، و هكذا في كل شك ((و هم اللا أدريه)) : و تسمى تلك الفرقة باللا أدريه لأنهم يقولون : لأدري ، و الذي ألجأهم لذلك ما زعموه من أنه لا وثوق بالعيان لكثرة غلط الحس ، و لا بالبداهة أن البديهيات كثير ما يقع فيها الاختلافات ، و لا بالدليل لأنه فرع لهما ، ففسادهما يتبع فساده ، و لوقوع الاختلاف في بعضها أيضاً . قال " الحافظ ابن حزم " رادا عليهم : و يقال لهم : أشككم موجود أم لا موجود ، فإن قالوا : هو موجود منا أثبتوا حقيقة ما ، و إن قالوا : هو غير موجود نفوا الشك ، و أبطلوه ، و في إبطال الشك إثبات الحقائق . فافهم . ((و لنا تحقيقاً)) و قد استدلل أهل السنة على دعواهم بوجهين - لا على وجه المناظرة معهم ، بل ليتبين لمريد الحق فساد مذهبهم ، فينتئ عنه - ذكروا أحد الوجهين على سبيل التحقيق لمذهبهم - و إثبات دعواهم ، و الثاني إلزاماً لهم ورداً لما ادعوه ، فقال : ((إنا نجزم بالضرورة بثبوت بعض الأشياء بالعيان)) : يعني بالحواس الظاهرة . ((وبعضها بالبيان)) : يعني بإقامة البراهين القاطعة . و حاصل الوجه الأول: ما تشهد به الضرورة من ثبوت بعض الأشياء جزماً في نفس الأمر من غير تبعية للاعتقاد : سواء كان طريقها الحس أو بداهة العقل أو البرهان . ((و إلزاماً)) : معطوف على تحقيقاً . ((أنه إن لم يتحقق نفي الأشياء فقد ثبت)) يعني الأشياء ، ضرورة أنه إن لا واسطة بين النفي و الثبوت و إلا لزم ارتفاع النقيضين ، و هو محال .

..... و إن تحقق فالنفي حقيقة من الحقائق ؛ لكونه نوعاً من الحكم فقد ثبت شيء من الحقائق فلم يصح نفيها على الإطلاق ، و لا يخفي أنه إنما يتم على العنادية ، قالوا : الضروريات منها حسيات و الحس قد يغلط كثيراً كالأحول يرى الواحد اثنين و الصفراوي قد يجد الحلومرا

((و إن تحقق)) : يعني إن تحقق نفي الأشياء ((فالنفي حقيقة من الحقائق لكونه نوعاً من الحكم)) : لأنه يتنوع إلى الإيجابي و السلبي ((فقد ثبت شيء من الحقائق)) : فثبت المطلوب . ((فلم يصح نفيها على الإطلاق)) : يعني بطريق سلب الكلي . و حاصله : أنه إن لم يتحقق نسبة النفي إلى الحقائق في نفسها من غير مدخلية للاعتقاد ، فقد ثبت أن للأشياء حقائق ، و إن تحقق نسبة النفي إليها ، و هو حقيقة من الحقائق ، فقد ثبت شيء من الحقائق ، فلا يصح نفيها ، و اعترض بأن لهم أن لايعترفوا بأحد الشقين ، و غاية ما يلزم عليه هو ارتفاع النقيضين محال ، و لا حقيقة له عندهم . و الأفضل أن يقول في الرد عليهم : إن ما ادعوتموه إن زعمتم أنه مخيل فقد ثبت مقصودنا ، و هو إبطال ما ادعوتهم ، و إن زعمتم أنه متحقق ففيه ما تقدم ، أو يقتصر على الشق الأخير ، فإن تمسكهم فيه بما أوردوه من الشبهات يدل على أنه ثابت في نفس الأمر عندهم . ((و لا يخفى أنه)) : يعني الدليل الإلزامي ((إنما يتم على العنادية)) : أما العندية فتقول : تحقق النفي و تحقق الثبوت بحسب اعتقادنا لا في الواقع . و أما اللاأدرية فتقول : لأدري ، يعني - تحقق النفي و لاعدم تحققه - و لذا قال قدس سره : إنما يتم على العنادية ؛ إذ ظاهر قولهم ثبوت نفي الحقائق . فافهم .

قوله: قالوا، بيان الأدلة السوفسطائية والجواب عنها

((قالوا)) : شروع في أدلة السوفسطائية ، و قد سبق منا بيانها . ((الضروريات منها حسيات ، و الحس قد يغلط كثيراً كالأحول يرى الواحد اثنين ، و الصفراوي قد يجد الحلومراً)) : فلا يجزم فيها .

..... ومنها بديهيات ، وقد تقع فيها اختلافات ، وتعرض بها شبهة يفتقر في حلها إلى أنظار دقيقة ، و النظريات فرع الضروريات ففسادها فسادها . ولهذا كثر فيها اختلاف العقلاء ، قلنا : غلط الحس في البعض لأسباب جزئية لاينا في الجزم البعض بانتفاء أسباب الغلط والاختلاف في البديهي لعدم الألف ، أو لخفاء في التصور لاينا في البداهة ، و كثرة الاختلاف لفساد الأنظار لاتنافي حقيقة بعض النظريات ، و الحق أنه لا طريق إلى المناظرة معهم.....

((و منها بديهيات وقد تقع فيها اختلافات)) : و ذلك لأن بعض العقلاء يدعي في قضية أنها بديهية ، و بعضهم يقول : إنها نظرية ، و قالت المشبهة : إن كل موجود في جهة ، و قالت القدريّة : إن العبد خالق لأفعاله ، و قالت الأشاعرة : إن هاتين القضيتين باطلتان . و حاصله : إن هذا يرفع الاعتماد عن البديهيات فلا جزم فيها . ((و تعرض بها شبهة يفتقر في حلها إلى أنظار دقيقة)) : بل لاتنحل بتلك الأنظار أيضا : بحيث ينقطع الكلام و يقف عندها المقال ، بل لايقف على حد و يتمادى البحث لا إلى نهاية ، و هذا أيضا ينفي الجزم و الاعتماد عليها . ((و النظريات فرع الضروريات)) : و هذا قدح و جرح في النظريات ، و إنما كانت النظريات فرع الضروريات : لأنها تحصل و تستفاد منها ، و تنتهي إليها في البحث ، فإذا كانت الضروريات كذلك في الفساد و عدم القطع بأحكامها فما للنظريات بالطريق الأولى ، بل الاختلافات و المناقضات فيها أوفرو أكثر مما ينضبط ((ففسادها فسادها)) : يعني أن فساد الضروريات على ما قررنا يستلزم فساد النظريات في القطع و الجزم . ((و لهذا كثر فيها اختلاف العقلاء قلنا : غلط الحس في البعض)) : يعني في بعض المحسوسات ((لأسباب جزئية)) : يعني مختصة ببعض المواد دون البعض . ((لاينا في الجزم بالبعض بانتفاء أسباب الغلط)) : حاصله : أن الفحص البالغ عن هذه الأسباب قد حصرها جزما في أمور معلومة عند

العقل في باب وقوع الغلط ، فعند العلم بانتفاء تلك الأسباب يعلم قطعاً عدم وقوع الغلط علماً قطعياً ، بمعنى قطع احتمال الخلاف احتمالاً ناشئاً عن الدليل ، نعم ! كان يقال ذلك لو كان للغلط أسباب عامة توجد من تلك البعض ، و بديهية العقل جازمة بانتفائها فيه مثل إدراك حلاوة العسل مثلاً ، وإنما قلنا ذلك ، لأنه قد يورد بأنه يجوز أن يكون سبب عام لغلط عام ، فمن أين يجزم بانتفاء مطلق أسباب الغلط قلت : الأحسن أن يقال : أسباب الغلط المطلقة ، كما لا يخفى .

على أن المقصود نفي الشيء المطلق لا مطلق الشيء . و الجواب عنه بوجه : الوجه الأول : بأن الكلام مبني على دفع الإلزام ، و يكفيه الجواز والاحتمال في العلم بالنفي لا على الإلزام ؛ حتى يلزم إثبات العلم بالنفي . الوجه الثاني : بأنه مبني على التحقيق لا الإلزام و بداهة العقل جازمة به في مثل حلاوة العسل ، و لعل الخصم لا يسلمه و يجعلها بداهة الوهم . الوجه الثالث : بأن المراد بالعلم بالنفي هو الجزم العادي الحاصل بقطع احتمال الخلاف : لا عن قرينة ودليل .

((و الاختلاف في البديهي)) : هذا جواب عن قدهم في البديهيات . ((لعدم الألف أو لخفاء في التصور)) : يعني وقوع الاختلاف في البديهي إما لعدم كون النفس مالوفة به و بعيدة عنه بعارض من العوارض ، و إما لعروض خفاء في تصور أطرافه ؛ بحيث لا يصل النفس إلى أن تجزم به ، لا ينافي كونه بديهي أو واقعياً قطعياً في نفسه . ((لا ينافي البداهة)) : خبر لقوله : و الاختلاف .

((و كثرة الاختلاف)) : هذا جواب عما أورده على فساد النظريات . ((لفساد الأنظار لا تنافي حقيقة بعض النظريات)) : و إن لم يثبت حقيقة جميعها ، و ذلك لأن العالم قد لا يراعي أصول النظر ، فيفسد نظره و يقصر عن قبول الحق و الصواب ، هذا لا ينافي حقيقة إدراك من يراعي الضوابط و القواعد . ((و الحق)) : لأن هذه الأجوبة أيضاً عند تخيلات و أوهام محضة ؛ لأنهم لا يجزمون بوجود الشيء . ((أنه لا طريق إلى المناظرة معهم)) : يعني مع السوفسطائية .

..... خصوصاً مع اللاادرية ، لأنهم لا يعترفون بمعلوم ، ليثبت به مجهول ، بل الطريق تعذيبهم بالنار ؛ ليعترفوا أو يحترقوا . و سوفسطا : اسم للحكمة الممومة و العلم المزخرف لأن سوفاً معناه العلم و الحكمة ، و إسطا معناه المزخرف و الغلط ، و منه اشتقت السفسطة كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف ، أي محب الحكمة

((خصوصاً مع اللا أدرية لأنهم لا يعترفون بمعلوم ليثبت به مجهول)) : يعني لتوقفهم عن الحكم بثبوت المعلومات ، فلا يمكن أن يتوصل بالمناظرة معهم إلى مجهول . ((بل الطريق تعذيبهم بالنار ؛ ليعترفوا أو يحترقوا)) : يعني و لا سبيل للمتناظر معهم إلا تعذيبهم بالنار حتى يعترفوا . و حاصله : ليس معهم طريق المناظرة أصلاً و رأساً ، نعم ! لو فرض لهم طريق فهو هذا ؛ مع أنه ليس من طريق المناظرة في شيء بل هو عقوبة ، و ليس غرضه أن هذا التعذيب بالنار جائز لنا في حقهم شرعاً أو عقلاً ، حتى يقال : إنه حرام في الدنيا في حق الكفار أيضاً ، بل هو تمثيل و تصوير في التعجيز فتأمل و لاتغفل . ((و سوفسطا اسم للحكمة الممومة)) : يعني الباطلة من التمويه . ((و العلم المزخرف)) : يعني المزين بالزينة الظاهرة و الباطل في الباطنة . ((لأن سوفاً معناه العلم و الحكمة ، و إسطا معناه المزخرف و الغلط ، و منه اشتقت السفسطة كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف ، أي محب الحكمة)) : ففيلاً : هو المحب و سوفاً : هو الحكمة .

الحكمة نوعان والرد على الفلاسفة الدهرية

و الحكمة نوعان : قولية و فعلية ، فالقولية قول الحق و الفعلية فعل الصواب ، و كل طائفة من الطوائف لهم حكمة يقتدون بها ، و أصح الطوائف من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الأنبياء التي جاءوا بها من الله سبحانه ، قال الله سبحانه عن نبيه داود - عليه السلام - : ﴿ و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب ﴾ و قال عن المسيح - عليه السلام - : ﴿ و يعلمه الكتاب و الحكمة و التورات و الإنجيل ﴾ و قال عن يحيى - عليه

السلام - : ﴿ و آتيناہ الحکم صبیا ﴾ و الحکم : هو الحکمة ، و قال لرسولنا و نبينا محمد ﷺ : ﴿ و أنزل الله عليك الكتاب و الحکمة ﴾ و قال لأهل بیت رسولہ : ﴿ و اذکرن ما يتلى في بيوتکن من آيات الله و الحکمة ﴾ و قال عن لقمان : ﴿ و لقد آتينا لقمان الحکمة ﴾ و قال عن نبیه لوط - عليه السلام - : ﴿ و لوطا آتيناہ علما و حکما ﴾ فالحکمة التي جاءت بها الرسل و الأنبياء هي الحکمة الحققة المتضمنة للعلم النافع و العمل الصالح للهدى ، و دين الحق لإصابة الحق اعتقاداً و قولاً و عملاً ، و هذه الحکمة فرقها الله سبحانه بين أنبيائه و رسله ، و جمعها لمحمد ﷺ ، كما جمع له من المحاسن ما فرقہ في الأنبياء قبله ، و جمع في كتابه من العلوم و الأعمال ما فرقہ في الأنبياء قبله ، و جمع في كتابه من العلوم و الأعمال ما فرقہ في الكتب قبله ، فلو جمعت كل حکمة صحيحة في العالم من كل طائفة ، لكانت في الحکمة التي أوتيها - صلوات الله و سلامه عليه - جزءاً يسراً جداً ، لا يدرك البشر نسبته .

و أما الفلاسفة الدمرية فهؤلاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها ، و قالوا : ما حکى الله عنهم ، و قالوا : ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا ، و ما يهلكنا إلا الدمر ﴾ ، و قالوا : إن الأشياء ليس لها أول البتة ، و إنما تخرج من القوة إلى الفعل ، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل تكونت الأشياء مركباتها و بسائطها من ذاتها لا من شيء ، و قالوا : إن العالم دائم لم يزل و لا يزال لا يتغير و لا يتبدل ، و قد سرى هذا التعطيل إلى سائر الفرق المعطلة على اختلاف آرائهم و تباينهم في التعطيل ، كما سرى داء الشرك تأصيلاً و تفصيلاً في سائر فرق المشركين على اختلاف مذاهيبهم فيه ، و كما سرى جحد النبوات تأصيلاً و تفصيلاً في سائر من جحد النبوة أو صفة من صفاتها أو أقربها جملة ، و جحد مقصودهما و زبدتها . فهذه الفرق الثلاثة سرى دأؤها و بلاؤها في سائر الناس ، و لم ينج منه إلا أتباع الأنبياء العارفون بحقيقة ما جاؤا به ، المتمسكون به دون ما سواه ظاهراً و باطناً ، فداء التعطيل و داء الإشراك و داء مخالفة الأنبياء و جحد ما جاؤا بها . هو أصل بلاء العالم ، و منبع كل شر و أساس كل باطل ، فليست الفرق من فرق أهل الإلحاد و الباطل و البدع إلا وقولها مشتق من هذه الأصول الثلاثة أو من بعضها ، فسرت هذه البلايا الثلاثة في كثير من طوائف الفلاسفة لا في جميعهم ، فإن الفلسفة من حيث هي لا تعطي ذلك . فافهم و تأمل .

..... ((وأسباب العلم)) : وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به ، أي : يتضح ويظهر ما يذكر.....

ولما ثبت العلم بالحقائق رداً على السوفسطائية ، وكان منشأ إنكارهم الطعن في الحس وبداية العقل ، أو النظر المتفرع عليهما عقبه بإثبات الحس والعقل ، فقال : ((وأسباب العلم)) : ثلاثة ، إشارة إلى إثبات السببين المطعونين مع زيادة سبب ثالث مبالغة في تصحيح تحقق العلم بحقائق الأشياء .

قوله : صفة يتجلى بها المذكور، تعريف لمطلق العلم المتوارث عن

مشائخنا الماتريديّة

قال -قدس سره- ((وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به)) : هذا تعريف لمطلق العلم الشامل للتصور والتصديق والإحساسي والتعقلي وهذا هو التفسير المتوارث عن مشائخنا الماتريديّة ، وقد يفسر ذلك بالحالة الانجلائية الحاصلة عند توجه النفس إلى شيء في انكشافه ، سواء كان عين ذاتها أو صفة انضمامية أو انتزاعية من صفاتها ، أو آلة وقوة من آلاتها وقواها ، وغيرها من الكليات والجزئيات ، وسواء حصل هناك صورة تقع منشأ لحدوث هذه الحالة أولاً ، وليس العلم زائداً على هذا القدر . يعني الحالة الانجلائية التي بها ينكشف الشيء المتوجه إليها للنفس في الكشف نحو ما من الانكشاف ، وليس عبارة عن نفس التعلق والإضافة الاعتبارية بين العالم والمعلوم ، وهذا ما نسب إلى جمهور المتكلمين . وقوله : ((أي يتضح ويظهر)) : كلاهما تفسير لقوله : يتجلى ، يعني أن التجلي عبارة عن الظهور والوضوح والانكشاف ، خرج به صفة لا يكون محكما عنها للظهور والانكشاف . وقوله : ((ما يذكر)) : تفسير لقوله المذكور ، والمراد به ما من شأنه أن يذكر لساناً أو قلباً ، فهو شامل لجميع المفهومات سواء حصل في العقل بالفعل أولاً . فهو بمعنى الشيء ، وكان الأظهر أن يقول : يتجلى به الشيء ، ولكن اختار المذكور على الشيء ؛ لأن الشيء في اصطلاحنا لا يطلق على المعدوم إلا مجازاً ، والمجاز مهجور في التعريفات . فتدبر .

..... و يمكن أن يعبر عنه موجودا كان أو معدوما فيشمل إدراك الحواس و إدراك العقل من التصورات و التصديقات اليقينية و غير اليقينية بخلاف قولهم صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض

((و)) : قوله : ((يمكن)) : تفسير ثان لقوله المذكور ((أن يعبر عنه موجوداً كان أو معدوما)) : يعني سواء كان الشيء موجوداً أو معدوما ممكناً أو ممتنعاً . ((فيشمل إدراك الحواس)) : يعني الإدراك بالحواس الخمس الظاهرة ، أما الباطنة فهم لا يثبتونها ، و سيأتى . ((و إدراك العقل)) : و حاصله : فهو شامل لإدراك العقل و إدراك الحواس ، لا فرق فيهما بين العاقل و غيره . ((من التصورات و التصديقات)) : بيان لإدراك العقل فحسب ، فإن إدراك الحواس لا يسمى تصوراً و لا تصديقاً ، لا في عرف الفيلسوف و لا في عرف المتكلم . ((اليقينية)) : و اليقين اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع . ((و غير اليقينية)) : من الظن و التقليد و الجهل المؤلف ، و ذلك لأن التجلي هو الظهور المطلق سواء كان تأملاً أو ناقصاً ، و مطابقاً للواقع أو غير مطابق . ((بخلاف قولهم)) : إشارة إلى أن التفسير السابق عام شامل لجميع أنحاء العلوم بخلاف هذا التفسير . ((صفة)) : يعني أمراً قائماً بموضوعه و محله ((توجب تمييزاً)) : يعني لموصوفيهها و محلها ، و هذا الإيجاب على طريق العادة . ((لا يحتمل النقيض)) : يعني لا يحتمل متعلق التمييز نقيض التمييز ، و حاصله : أنه صفة توجب التمييز لمحلها و هو النفس الناطقة ، لا يحتمل متعلق هذا التمييز نقيض هذا التمييز ، و التمييز هو الإثبات و النفي و متعلقه النسبة في التصديق و الصورة ، و متعلقه الماهية المتصورة في التصور ، فليس العلم بمعنى الصورة الحاصلة على هذا التعريف ، كما هو مذهب بعض الفلاسفة ، بل هو صفة يخلقها الله سبحانه عقب استعمال الأسباب توجب الانكشاف وجوباً عادياً .

..... فإنه و إن كان شاملاً لإدراك الحواس بناء على عدم
التقييد بالمعاني و للتصورات بناء على أنها لا نقائص لها على
مازعموا لكنه

((فإنه و إن كان شاملاً لإدراك الحواس بناءً على عدم التقييد بالمعاني)) : يعني
قيد بعض الأفاضل هذا التعريف بالمعاني ، و قال : العلم صفة توجب تمييزاً بين
المعاني لا يحتمل النقيض ، فعلى هذا لا يتناول هذا التعريف إدراك الحواس ، و ذلك
لأن المعلوم بالحواس هو الصورة لا المعاني المختصة بإدراك العقل . ((و للتصورات)) :
يعني شامل للتصورات .

قالوا: التصورات لا نقائص لها، أقول: هو خطأ

((بناءً على أنها لا نقائص لها)) : يعني و شموله للتصورات بناءً على أنها
لنقائص لتمييزها الذي هو الصورة ، و ذلك بمعنى عدم الجمع و الدفع ، و إلا فلها
نقائص بمعنى عدم الجمع و غاية التباعد ، و هذا اختاره الشارح - قدس سره - فقال :
((على ما زعموا)) : إيماء إلى أن هذا هو قول ضعيف ، لأن إطلاق النقيض على أطراف
القضايا شائع ذائع ، و اختلفوا ، فقال البعض : المفردات لا تتناقض ، إذ التناقض هو
عدم اجتماع المفهومين في الصدق على الشيء و الارتفاع عنه ، و هذا لا يوجد في
المفردتين كالإنسان و اللإنسان ، إذا اعتبر حملهما على الشيء ، و حينئذ يحصل
قضيتان متناقضتان صدقاً و كذباً نحو : زيد إنسان و زيد ليس بإنسان ، فيكون
التناقض بين القضيتين . و قال البعض : تتناقض ، لأن نقيض الشيء رفعه ، سواء
كان رفعه في نفسه ، أو رفعه عن الشيء ، و هذا اختيار الشارح .

و قد حقق بعضهم أن الخلاف بين القائلين بالنقيض و غير القائلين به لفظي ،
فلا حاجة إلى بيان الاعتراض المشهور على غير القائلين و الجواب عنه . تفكر . ((لكنه)) :
يعني هذا التعريف

..... لا يشمل غير اليقينيّات من التصديقات ، هذا ! و لكن ينبغي أن يحمل التجلي على الانكشاف التام الذي لا يشمل الظن لأن العلم عند هم مقابل للظن للخلق أي المخلوق من الملك و الإنس و الجن

((لا يشمل غير اليقينيّات من التصديقات)) : فخرج الظن و التقليد و الجهل المركب لاحتمال المتعلق معها النقيض ، و خرج الشك و الومم ، و وجه خروج الشك و الومم مع أن كلا منهما تصور و هو داخل ، بناءً على أنه لا نقيض له ، إن إدخالهما في التصور من حيث أنهما تصور للنسبة من حيث هي هي ، و لا نزاع في دخولهما في التعريف حينئذ ، و أما باعتبار أنهما إدراك لها على سبيل التجويز المساوي أو المرجوح ، فهما خارجان لاحتمال متعلقهما النقيض ، لأن لهما نقيضا على هذا الاعتبار ((هذا)) يعني خذ هذا ، و مضى هذا .

((و لكن ينبغي أن يحمل التجلي)) : يعني في التعريف الأول ((على الانكشاف التام الذي لا يشمل الظن)) : إيماء إلى بيان ما هو المختار عند الشارح في هذا الكتاب ، و إلا فاختيار الشارح في " شرح المقاصد " هو التعريف الأول ، و حاصله أنه ينبغي تأويل التعريف الأول بحيث يطابق الثاني في عدم شمول التصديق الغير اليقيني : لأنه لا يسمى علما في اصطلاح أهل السنة بخلاف الفلاسفة ، فإن العلم عندهم هو حصول صورة الشيء في العقل فيشمل اليقين و غيره . ((لأن العلم عند هم مقابل للظن)) : يعني أن العلم لا يعرف في هذا الفن إلا بالاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، فإنه قرينة على أن المراد من الانكشاف ، الانكشاف التام و لم يذكر التقليد و الجهل المؤلف ، لأنهما في حكم الظن ((للخلق)) : قال - قدس سره - ((أي المخلوق من الملك و الإنس و الجن)) : يعني و معلوم أن تلك الأسباب إنما هي للعلم الحادث الحاصل للمخلوق إنساً أو جناً أو ملكاً ، و لا مانع من أن يكون لهذين أيضاً حواس كالإنس يفيدهما العلم بالمحسوسات ، ثم خص هذه الثلاثة لأنهم أنواع المكلف ، و حال غيرهم غير معلوم ، هل لهم نفوس مجردة تدرك الكليات أم لا ؟ .

..... بخلاف علم الخالق تعالى فإنه لذاته لا بسبب من الأسباب
ثلاثة : الحواس السليمة ، و الخبر الصادق ، و العقل بحكم
الاستقراء ، ووجه الضبط أن السبب إن كان من خارج

((بخلاف علم الخالق فإنه لذاته لا بسبب من الأسباب)) : و أما علم الله سبحانه ليس بذى سبب ، و سماعه و بصره ليسا لا في الحقيقة سببين لعلمه سبحانه بالمسموعات و المبصرات ، بل هما سببان لتعلقه بذلك ، و قال بعض الأفاضل في شرح قوله : بخلاف علم الخالق : فعلى هذا لم يكن تمس الحاجة إلى هذا التقييد ، و غايته أنه يقرع على الأمر الواقع و تحرز عما عسى أن يتوهم أنها أسباب لمطلق العلم ، ثم المراد بعلم الواجب ما هو علم له حقيقة و منشأ للانكشاف فيه ، و هو العلم الإجمالي القديم المقدم على وجود الجائزات ، لا علمه التفصيلي الانفعالي الذي هو عين هذه الكائنات الحاضرة عنده الموجودة ؛ فإنه حادث . و تفصيله في موضعه . فتأمل .

اسباب العلم ثلاثة ووجه الحصر

((ثلاثة)) : يعني و للعلم أسباب ثلاثة ، و مرادنا بالسبب المفضي إلى العلم في الجملة بأن يخلق الله سبحانه فينا العلم معه بطريق جري العادة ، و سيأتي . ((الحواس السليمة ، و الخبر الصادق)) : و الحواس المأوفة مثل باصرة الأحوال و ذائقة الصفراوي ، و الخبر الكاذب و إن كانا قديفيد ان التصور إلا أنهما غير معتد فيهما . ((و العقل)) : و لم يقيد العقل بالصحيح ، لأن من أصاب عقله آفة لا يسمى عاقلاً عرفاً ((بحكم الاستقراء)) : و وجه ضبطه فيها الاستقراء . ((و وجه الضبط)) : يعني الأقسام بين النفي و الإثبات المفيد للحصر المذكور ، و قد جرت عادة الناس به سواء كان الحصر عقلياً أو استقرائياً . ((أن السبب)) : يعني أن السبب الذي يحصل به العلم ((إن كان من خارج)) : يعني إن كان أمراً خارجاً عن من قام به ذلك العلم منفصلاً عنه ، أو إن كان وجوده من أمر خارج عن العالم .

..... فالخبر الصادق ، و إلا فإن كان آلة غير مدرك فالحواس ، و
 إلا فالعقل فإن قيل : السبب المؤثر في العلوم كلها هو الله تعالى لأنها
 بخلقه و إيجاده من غير تأثير للحاسة و الخبر و العقل و السبب
 الظاهري كالنار للإحراق هو العقل لا غير و إنما الحواس و الأخبار
 آلات و طرق في الإدراك و السبب المفضي في الجملة ، بأن يخلق الله
 تعالى فينا العلم معه بطريق جري العادة ليشمل المدرك كالعقل و
 الآلة كالحس و الطريق كالخبر

((فالخبر الصادق ، و إلا فإن كان آلة غير مدرك)) : يقع و إن لم يكن السبب من
 خارج بأن كان له تعلق بالمدرك بحيث يسمى داخلا . ((فالحواس)) : يعني الحواس
 الظاهرة ((و إلا)) : يعني و إن لم يكن آلة . ((فالعقل)) : أما كون العقل آلة أو ليس
 بآلة فمبني على تفسير العقل مهنا ، فإن كان المراد به النفس الناطقة فليس بآلة ، و
 إن أريدت به القوة العاقلة فهو آلة مدركة ، و الظاهر أن مراده الثاني ، و لذلك قال :
 فإن كان آلة غير المدرك فوقع التردد في الآلة ، و لو كان المراد الأول لاقتصر على قوله :
 ((فإن كان آلة فالحواس و إلا فالعقل)) : يعني فإن كان آلة للإدراك فالحواس و إن
 كان به الإدراك فالعقل . فتدبر

قوله: فإن قيل، رد على حصر الأسباب في الثلاثة

((فإن قيل)) : حصر الأسباب في الثلاثة باطل ، لأن السبب في العرف يطلق على
 ثلاثة معاني : لأنه إما أن لوحظ في معناه التأثير أو مجرد الإفضاء ، على الأول إما أن
 يقصد به التأثير الحقيقي أو التأثير الظاهري ، فعلى الأول لا يصدق المقسم على شيء
 من الأقسام ، و على الثاني لا يصدق إلا على العقل ، و على الثالث - يعني أخذ السبب
 بمعنى مجرد الطريق المفضي - لا ينحصر المقسم في الثلاثة . ((السبب المؤثر في العلوم
 كلها هو الله تعالى)) : يعني إن أريد السبب الحقيقي . ((لأنها بخلقه و إيجاده من غير

الحاسة والخبر والعقل ((: وذلك لأن التأثير مختص بالواجب الوجود ، ومن شأنه وخصائصه ، وليس للممكن هالكة الذات و باطلة الحقيقة و فاقد الوجود في نفسه فيه حظ ، و الحاصل أن الفرق ثلاثة : فرقة أهل السنة القائلة : المؤثر هو الله سبحانه عند وجود الأسباب ، لا أن التأثير بها بذاتها و لا بقوة أودعت فيها . و فرقة الزنادقة الملاحدة الفلاسفة الدهرية ، و هم القائلون بتأثير الأسباب بذاتها ، و هؤلاء يؤخذ الرد عليهم من الطرف الثاني ، و هو افتقار كل ما سواه إليه و فرقة مؤمنة على المعتمد ، و هي القائلة : إن الأسباب العادية تؤثر بقوة أودعت فيها ، و يؤخذ الرد عليهم من الطرف الأول : و هو استغناؤه عن كل ما سواه ، و سيأتي التفصيل في موضعه .

((و السبب الظاهري)) : يعني ما يكون سببا بالنسبة إلى ظاهر الحال أو ما يعده أهل العرف سبباً . ((كالنار للإحراق)) : يعني النار تحرق و الثوب يستر العورة و يقي الحرو البرد ، و الماء يروي و ينبت و يطهر و ينظف ، و الطعام يشبع و نحو ذلك مما لا ينحصر ((هو العقل لا غير)) : يعني العقل المفسر بقوة النفس بها تستعد للعلوم و المعارف . ((و إنما الحواس و الأخبار آلات و طرق في الإدراك)) : يعني الحواس آلات و الأخبار طرق ، إنما جعل الحواس آلات و الأخبار طرقاً . مع أنه يمكن أن يجعل كل واحد منها آلات و طرقاً ، لأن الحواس تستعمل عرفاً في وصول أثر الفاعل إلى المفعول كآلة بخلاف الأخبار ، فانها لا تستعمل في هذا المعنى ، بل يستعمل فيما سلك فيه السالك .

((و السبب المفضي في الجملة)) : يعني و إن كان الثالث : و هو أن يراد السبب المفضي في الجملة ، فالحصر في هذه الثلاثة باطل ، و ذلك لأن السبب المفضي إلى العلم ((بأن يخلق الله تعالى فينا العلم معه)) : يعني مع السبب المفضي ((بطريق جري العادة)) : لا بطريق الوجوب و اللزوم المستمر بخلق ذلك العلم في الجملة عند تعلق ذلك السبب به على سبيل الاختصاص المستفاد من العادة المذكورة ((ليشمل ذلك المدرك كالعقل ، و الآلة كالحس ، و الطريق كالخبر)) : إنما فسر السبب المفضي بذلك ، ليشمل السبب الظاهر المدرك كالعقل ، و ليشمل الآلة للإدراك كالحس بأقسامه ، و يشمل الطريق إلى الإدراك كالخبر المذكور .

..... لاينحصر في الثلاثة بل ههنا أشياء آخر: مثل الوجدان و الحدس و التجربة و نظر العقل بمعنى ترتيب المبادي و المقدمات قلنا : هذا على عادة المشائخ في الاقتصار على المقاصد . و الإعراض عن تدقيقات الفلاسفة فإنهم لما وجدوا بعض الإدراكات حاصلة عقيب استعمال الحواس الظاهرة التي لا شك فيها سواء كانت من ذوي العقول أو غيرهم جعلوا الحواس أحد الأسباب ، و لما كان معظم المعلومات الدينية مستفادا من الخبر الصادق جعلوا سببا آخر.....

((لاينحصر في الثلاثة)) : قوله لاينحصر خبر قوله : و السبب المفضي . ((بل ههنا أشياء آخر مثل الوجدان و الحدس و التجربة و نظر العقل)) : يعني بل ههنا في هذا المقام الذي هو لذكر أسباب العلم المفضية إليه، أشياء أخرى تصلح أن تكون أسبابا مفضية في الجملة لجري العادة ، بأن يخلق الله سبحانه العلم معها مثل الوجدان المفضي إلى العلم بالوجدانيات ، مثل علم الإنسان بجوعه و شبعه و فرجه و حزنه و لذته و ألمه ، و الحدس المفضي إلى العلم كالعلم بأنه سبحانه عالم بواسطة مشاهدته و أفعاله المتقنة ، و العلم بأن نور القمر مستفاد من نور الشمس بالطريق المتقدم بيانه ، و التجربة المفضية إلى العلم بالتجربيات كالعلم بأن الضرب مؤلم ، و نظر العقل المفضي إلى النظريات بمعنى ترتيب المبادي . يعني ليس المراد بذلك مطلق نظره بالمعنى الأصلي ، بل المراد النظر الاصطلاحي .

((بمعنى ترتيب المبادي)) : و هي المعلومات الحاصلة في الذهن التي يقع عليها الترتيب المذكور تصويريةً كانت أو تصديقيةً كالجنس و الفصل القريب

ينفي التصورات . ((و المقدمات)) : الحملية أو الشرطية أو المؤلف منها في التصديقات و المقدمات ، فعطف المقدمات على المبادي من عطف الخاص على العام ، إلا أن يراد بالمبادي المعلومات التصورية فقط . فافهم .

المؤثر في العلوم كلها الواجب الوجود والرد على الدهرية

((قلنا : هذا)) : يعني حصر الأسباب في الثلاثة ((على عادة المشائخ)) : جواب باختيار الشق الثالث بوجهين : أما الوجه الأول : فقال : ((في الاختصار على المقاصد)) : و حاصله أن مقصود المشائخ في التقسيم بيان الأقسام الظاهرة الوجود المقصودة في البحث ، وهي ليست إلا هذه الثلاثة ، لأن غيرها إما غير ثابت كالباطنة أو غير مقصودة البحث . و أما الوجه الثاني : فأشار إليه بقوله : ((و الإعراض عن تدقيقات الفلاسفة)) : و حاصله أن المشائخ غير مقيدين بما التزمه الفلاسفة من تدقيقاتهم و تحقيقاتهم الفاضلة في أبواب النظر و الفكر من وجوب الحصر في الانقسام مثلاً ، بل مرامهم بيان أصناف و أنواع ظاهرة من أمركلي ، سواء كان منحصر فيها أولاً . ((فإنهم لما وجدوا بعض الإدراكات)) : مثل علم المصنوعات يستدل به على وجود الصانع سبحانه . ((حاصلة عقيب استعمال الحواس الظاهرة التي لاشك فيها)) : يعني في وجودها لحد من المشائخ ولا لأحد من الفلاسفة .

((سواء كانت من ذوي العقول أو غيرهم)) : يعني من البهائم ، فإنها تبصر و تسمع ، و في التسوية إيماء إلى وجه عدم إدراكها في العقل . ((جعلوا الحواس أحد الأسباب ، و لما كان معظم المعلومات الدينية مستفادا من الخبر الصادق جعلوا سببا آخر)) : و حاصله : لما أرادوا أن يفتشوا عن أسباب العلم و موارد تحققها و أنحائها المقصودة ، عرفوا أن بعض العلوم تحصل بالمشاهدة و العيان ، و استعمال هذه الآلات الظاهرة ، جعلوا المشاعر الظاهرة أحد الأسباب . و بعض العلوم تحصل بالأخبار النبوية المتواترة جعلوها سببا آخر .

..... و لما لم يثبت عند هم الحواس الباطنة المسماة بالحس المشترك والخيال والوهم وغير ذلك

قوله: وهذا على عادة المشائخ، جواب باختصار الشق الثالث

((و لما لم يثبت عند هم)) : توطئة و تمهيد لبيان جعل العقل سبباً ثالثاً دون الطرق الأخرى ، مثل ((الحواس الباطنة)) : و التجربة و الحدس و الوجدان و النظر في المبادي و المقدمات و أمثالها ، و مبناها عدم تعلق الأغراض العلمية بتفاصيلها : مع أنه استغنى عن الجمع بالعقل : لأنه مرجعها الحواس الباطنة . يعني : لم يثبت عندهم وجود الحواس الباطنة بالأدلة القطعية و لا بالظنية ، حتى يكون لهم جزم بوجودها و إذعان بتحققها ، لأنه ثبت عندهم عدمها ، إذ ليس ههنا دلائل قاطعة دلت على عدمها ، بل براهين ظنية و علامات تخمينية يدلنا على نفيها .

قوله: لم لم يثبت عندهم الحواس الباطنة

و العجب كل العجب ! أنهم مريبوا بمجرد أفكارهم عن إثبات الحواس الباطنة القائلة بها الفلاسفة بمراحل ، و مع ذلك ما قالوا في بيان حال الحواس الخمس الظاهرة و حقائقها ، ليس إلا ما قالت به الفلاسفة ، و لم يقم عليه أيضاً أدلة قاطعة جازمة مما لا يرد عليه النقض . ((المسماة بالحس المشترك)) : قوله : ((الحس المشترك)) : و هي قوة تدرك صور المحسوسات و أشباهها بالتأدية من طرق الحواس الظاهرة ، و الذي يدل على وجود هذه القوة . لما علمت أن النفس مجردة لا يرتسم فيها صور المحسوسات و لا ترتسم في الحس الظاهر ، فإن الحس الظاهر لا يدرك به غير نوع واحد من المحسوسات ، فإذا لا بد للنفس من قوة غير الحس الظاهر يدرك بها جميعاً يعني اللون الجزئي و الرائحة الجزئية و الطعم الجزئي و غيره ، و محل الحس المشترك مقدم البطن الأول من الدماغ . قوله : ((و الخيال)) : يعني و من القوى المدركة الباطنة الخيال، و هي المعينة للحس المشترك بالحفظ ، فهي قوة

تحفظ تلك الصور ، فإن الإدراك غير الحفظ ، فهي خزانة الحس المشترك فتجتمع فيها صور المحسوسات بعد غيبتها عن الحواس الظاهرة ، فتحفظ تلك الصور ، و محل الخيال مؤخر البطن الأول من الدماغ . قوله : ((و الوهم)) : يعني و من القوى المدركة الباطنة ، الواهمة : و هي قوة تدرك بها النفس في المحسوسات الجزئية المعاني الجزئية التي ليست بمحسوسة نحو: صداقة زيد و عداوة عمرو ، و إدراك الشاة معنى في الذنب ، غير محسوس : و هي العداوة ، و هذه المعاني لا تدرك بالحس الظاهر ، و بهذه القوة تحكم النفس أحكاما جزئية ، و محل الوهم مقدم البطن الأخير . و قيل : محله مؤخر البطن الأوسط . قوله : ((و غير ذلك)) : نحو الحافظة و المتصرفة ، يعني و من القوى المدركة الباطنة ، الحافظة : و هي قوة تحفظ هذه المعاني التي تدركها الواهمة ، و هي مغائرة للخيال ، لأن الحافظ للصور غير الحافظ للمعاني و محل الحافظة البطن الأخير من الدماغ ، و من القوى المدركة الباطنة المتصرفة : و هي القوة التي تحلل الصور و تألفها ، و تحلل المعاني و تألفها ، فتارةً تفصل الصورة عن الصورة ، و المعنى عن المعنى ، و الصورة عن المعنى ، و تارةً تألف بالصورة و تارةً تألف المعنى بالمعنى ، و تارةً تألف الصورة بالمعنى . و القوة المتصرفة تسمى مفكرةً إن استعملها العقل ، و متخيلةً إن استعملها الوهم دون تصرف عقلي ، و محل المتصرفة الدودة التي في وسط الدماغ ، و ليعلمه أن الدليل على اختصاص هذه القوى بهذه المواضع اختلال فعلها لخلل هذه المواضع ، فإن الفساد إذا اختص لموضع أورث الآفة في فعل القوة المختصة بذلك الموضع ، و هذه القوى الخمس تسمى مدركة باطنة ، و إن كانت المدركة منها اثنين فقط : لأن الإدراكات الباطنة لا تتم إلا بجمعها ، و بالحقيقة المدركة للكليات و الجزئيات النفس الناطقة ، لكن إدراكها للحقائق الكلية بالذات ، و إدراكها للحقائق الجزئية بتوسط هذه القوى . و المراد بقولهم : " إن النفس تدرك الكليات بذاتها " أن الصورة الكلية المعقولة تنطبع في النفس لا في القوى الجسدانية الجسمانية التي هي آلاتها ، و المراد بقولهم : " إن النفس تدرك الجزئيات بآلاتها " أن الصورة المحسوسة و المخيلة و المعاني الجزئية الموهومة تنطبع في آلاتها ، لكن إدراك النفس إياها بواسطة تلك القوى و انطباعها فيها .

..... و لم يتعلق لهم غرض بتفاصيل الحدسيات و التجريبات و البديهيات و النظريات ، و كان مرجع الكل إلى العقل ، جعلوه سببا ثالثا يفضي إلى العلم بمجرد التفات أو بانضمام حدس أو تجربة أو ترتيب مقدمات ، فجعلوا السبب في العلم : بأن لنا جوعا و عطشا ، و أن الكل أعظم من الجزء ، و أن نور القمر مستفاد من الشمس ، و أن السقمونيا مسهل للصفراء ، و أن العالم حادث هو العقل ، و إن كان في البعض

((و لم يتعلق لهم غرض بتفاصيل الحدسيات و التجريبات و البديهيات و النظريات)) : و ذلك لاتفصيل لها من و ظائف الفلاسفة . ((و كان مرجع الكل إلى العقل)) : و لأن كل واحد من هذه الأشياء من توابع العقل ، و ليس من الأسباب المستقلة الوجود بخلاف المشاعر الظاهرة ، فإنها مستقلة الوجود و ان لم يستقل في الإدراك ((جعلوه سببا ثالثا)) : جواب لقوله : و إن لم يثبت . ((يفضي إلى العلم بمجرد التفات)) : و هذا في البديهيات . ((أو بانضمام حدس أو تجربة أو ترتيب مقدمات)) : و هذا في النظريات . ((فجعلوا السبب في العلم بان لنا جوعا و عطشا)) : مثال للوجدانيات ((و إن الكل أعظم من الجزء)) : مثال للبديهيات . ((و إن نور القمر مستفاد من نور الشمس)) : مثال للحدسيات . ((و أن السقمونيا مسهل للصفراء)) : مثال للتجريبات ((و أن العالم حادث)) مثال لترتيب المقدمات ((هو العقل)) : مفعول ثان لجعلوا ، و لقائل أن يقول : إن الحدسيات و التجريبات لا بد فيها من الحس الظاهر ، فأنى يضاف العلم بها إلى العقل دونه ، و كان ينبغي أن يكون من جملة الحسيات ، أشار إلى الجواب بقوله : ((و إن كان في البعض)): يعني في الحدسيات و التجريبات .

..... باستعانة من الحس ، ((فالحواس)) : جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة ، ((خمس)) : ، بمعنى أن العقل حاكم بالضرورة بوجودها ، و أما الحواس الباطنة التي تثبتها الفلاسفة فلا تتم دلائلها على الأصول الإسلامية السمع

((باستعانة من الحس)) : لظهور الفرق بين مدركات الحس و ما للحس فيه مدخل ، و كان الأفضل إضافة الكل إلى العقل ، لأنه أعظم الأسباب المفضية ، لكنهم لما احتاجوا إلى التفصيل في الجملة ، و بينوا الوجه في جعل الحواس سببا للعلم بمدركاتها ، و كذا الخبر الصادق تعين العقل بجعله سببا بجميع ما وراء ذلك ، سواء كان للحس فيه مدخل أولا . أقول : قالت الفلاسفة : و سبب تعلق النفس الناطقة بالبدن توقف كمالاتها و لذاتها الحسييتين و العقليتين عليه ، فإن النفس في مبدأ الفطرة عارية من العلوم و المعارف قابلة لها بآلات و قوى بدنية ، قال الله سبحانه : ﴿ و الله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ ثم تلك القوى بأسرها تنقسم إلى مدركة و إلى محركة ، و تنقسم القوى المدركة إلى مدركة باطنة قدسبق بيانها أنفا ، و أما المدركة الظاهرة فقال المصنف : ((فالحواس)) : بتشديد السين ((جمع حاسة)) : من : حسه إذا طلبه و أدركه . ((بمعنى القوة الحاسة)) : يعني ليس المراد بالحاسة العضو الحامل للقوة كالأذن و العين ، و القوة صفة في العضو المخصوص يصدر أنه الآثار . ((خمس)) : السمع و البصر و الشم و الذوق و اللمس ((بمعنى أن العقل حاكم بالضرورة)) : يعني بالبداهة بلا نظر و فكر . ((بوجودها)) : من ذوى العقول و غيرها . ((و أما الحواس الباطنة)) : و هي التي ترسم فيها صور الجزئيات المادية ((التي تثبتها الفلاسفة ، فلا تتم دلائلها على الأصول الإسلامية)) : فلم تثبت الا عند الفلاسفة .

والعجب! هربوا بمجرد أفكارهم عن إثبات الحواس الباطنة

وذلك لأن النفس الناطقة عندهم جومر بسيط ، وتكيفها بالصور الجزئية ينافي بساطتها ، و أيضاً فاختلاف تلك الصور يدل على أن لها مصادر غير النفس بواسطة الآلات في الجزئيات ؛ وبغير واسطة في الكليات ، والنفس عندنا ليست جومرا بسيطا ، ولا مانع من أن تكون مصدراً للآثار المختلفة . ودعوى أنه ليس في الشرع ما يدل على بطلان زعمهم ، فهذا زعمهم بزعمهم الفاسد . وفي " المطالب العالية " للفخر الرازي ، وفي " شرح المقاصد " للتفتازاني ، وفيما علقه الشريف الجرجاني على " شرح المطالع " ، ما يسكن إليه صدور المقتدين بأئمة في أصول الدين من البيان في هذه المسئلة . أما بقاء النفس مدركة لبعض الجزئيات فقد بينها " الفخر " في الفصل الخامس عشر من " المطالب العالية " ، وهو من أمتع مؤلفاته في علم أصول الدين ، وقال الإمام الفخر في " تفسيره الكبير " : إن الأرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي ، بعد خروجها من ظلمة الأجساد ، تذهب إلى عالم الملائكة و منازل القدس ، و يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم ، فهي مدبرات أمراً ، أليس الإنسان قد يرى أستاذه في المنام و يسأله عن مشكلة فيرشد إليها؟ وقال العلامة سعد الدين التفتازاني في " شرح المقاصد " عند إثبات إدراك بعض الجزئيات للميت راداً على الفلاسفة : لما كان إدراك الجزئيات مشروطاً عند الفلاسفة بحصول الصورة في الآلات ، فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيات ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط ، وعندنا لما لم يكن الآلات شرطاً في إدراك الجزئيات ، إما لأنه بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحس ، وإما أنه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئي في النفس، بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجددة جزئية ، و اطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء ، و لا سيما الذين كان بينهم و بين الميت تعارف في الدنيا ، ولهذا ينتفع بزيارة القبور و الاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استئزال الخيرات و استدفاع الملمات ، فإن للنفس بعد المفارقة

تعلقاً بالبدن و بالتربة التي دفنت فيها ، فإذا زار الحي تلك التربة ، و توجه تلقاء النفس الميت حصل بين النفسين ملاقة و إفاضات . و قال العلامة السيد الشريف الجرجاني في أوائل حاشية " شرح المطالع " : معلقاً على ما ذكره شارح " المطالع " في صدد بيان الحكمة في التوسل و الصلاة على النبي ﷺ : فإن قيل : هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان ، و أما إذا تجردوا عنها فلا ، إذ لا جهة مقتضية للمناسبة . قلنا يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية ، فان أثر ذلك باق فيهم ، و لذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين ، كما يشاهده أصحاب البصائر . هذا مما قاله الفخر الرازي ، و السعد التفتازاني ، و الشريف الجرجاني في هذا الصدد ، فإنهم أئمة في أصول الدين يميزون بين الحق و الباطل . - و بالله التوفيق و منه الوصول إلى التحقيق .

النفس جوهر بسيط عند الحكماء، ولا رد عليهم

((السمع)) : قدّمه فإن السمع أفضل من البصر في حق الحوادث في الصحيح ، قال الله سبحانه : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ و الآية الكريمة تشير الى أن السمع أفضل من البصر ، و لأنه يدرك من جميع الجهات و الجوانب ، و توقف معظم الفضائل الإنسانية عليه ، و حينئذ فالأعمى الذي يسمع خير من البصير الذي لا يسمع . و قيل : إن البصر أفضل ، لأنه يدرك به الأجسام و الألوان و الهيئات بخلاف السمع ، فإنه قاصر على الأصوات . و ردّ بأن لكثرة هذه المتعلقات فوائد دنيوية لا يعول عليها ، و الصواب أن الخيرية و الأفضلية بالنظر للمنفعة المترتبة على كلّ . فافهم .

ثم السمع و البصر في حقه سبحانه مما صفتان وجوديتان قائمتان ، بذاته العلي، تتعلقان بكل موجود على وجه الإحاطة تعلقاً زائداً على تعلق العلم . و أما في حق الحوادث فالسمع عند أهل السنة : قوة خلقها الله سبحانه في الأذنين ، و البصر : قوة خلقها الله سبحانه في العينين . و أما عند الفيلسوف فقال المصنّف : و أما السمع

..... و هي قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ ، تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ ، بمعنى أن الله تعالى يخلق الإدراك في النفس عند ذلك . و البصر و هي قوة مودعة في العصبين المجوفتين اللتين تتلاقيان

((و هي قوة مودعة)) : يعني موضوعة ((في العصب المفروش في مقعر الصماخ)) : يعني على سطح باطن الصماخين . ((تدرك بها الأصوات)) : يعني من الأصوات الضعيفة و القوية و التي بين بين . ((بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ)) : يعني و سبب إدراكه وصول الهواء المتموج المعلول للقرع الذي هو إمساس غيف ، و القلع الذي هو تفريق بشرط مقاومة المقروع للقارع ، و المقلوع للقالع ، و يختلف الصوت قوةً و ضعفاً بحسب قوة المقاومة و ضعفها . ((بمعنى أن الله تعالى يخلق الإدراك في النفس عند ذلك)) : يعني وصول الهواء ، إيماء إلى الفرق بين طريق فلسفي و طريق شرعي ، يعني هذا كله عند الشرع على سبيل جري العادة الإلهية ؛ بإدراك الأصوات عقيب هذا الوصول من غير دخل لهذا الطريق و الحاسة ؛ لأن ذلك الوصول ليس علة تامة لذلك الإدراك ما يجب وجود المعلول معه . فتدبر .

((و البصر)) : الثاني من المشاعر الخمسة الظاهرة البصر ، قال قدس سره : ((و هي قوة مودعة في العصبين)) : منشؤهما مقدم الدماغ . ((المجوفتين)) : فلها جوف للحاجة إلى توفر الروح ، فينفذ فيها الروح النوراني من الدماغ إلى العينين . ((اللتين تتلاقيان)) : فوق ملتقى الحاجبين ، يسمى مجمع النورين ، و الحكمة فيه أن يتقوى النوران بالاجتماع .

..... ثم تفترقان فتؤديان إلى العينين ، تدرك بها الأضواء ،
والألوان ، والأشكال ، والمقادير ، والحركات ، والحسن ،
والقبح و غير ذلك

((ثم تفترقان فتؤديان إلى العينين ، تدرك بها الأضواء والألوان)) : يعني أولاً بالذات وبتوسطهما سائر المبصرات . هذا ! وقد عرفت مذهب أهل هذا الفن : إن كل موجود مبصر حقيقة لا بالعرض ضوءاً كان أولونا مقداراً أو حركة ، ولو كان بنحو من الوجود . ((والأشكال)) : والشكل هيئة إحاطته نهاية واحدة أو أكثر بالجسم : كالدائرة ، ونصف الدائرة ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك . ((والمقادير)) : جمع مقدار ، وهو كم متصل قار الذات : كالخط والسطح والجسم التعليمي وغيرها . ((والحركات)) : والحركة هي الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدرج ، هذا عند الحكماء ، وعند مشائخ هذا الفن حصول الجسم في مكان بعد حصوله في مكان آخر ، وهذا مختص بالحركة الأينية ؛ لأن الحركة مخصوصة بالأينية عندهم . ((والحسن والقبح و غير ذلك)) : يعني و ما يتصل بالمذكورات كالحسن والقبح المتصف بهما الشخص . باعتبار الخلقة ، التي هي مجموع الشكل واللون . وحاصله : أنه إذا قارن الشكل واللون واجتمعا حصلت كيفية يقال لها الخلقة ، وليس المراد بهما الحسن والقبح الذين يدركان بالعقل ، فإنهما لا يدركان بالبصر أصلاً ورأساً ، كاستحقاق الذم والمدح ، وترتب الثواب والعقاب ، وصفة الكمال والنقصان وغيرها ، بل المطلوب بهما حسن المنظر وقبحه ، مما يعبر عنهما بالميسم وجمال الطلعة ، فإن هذا كله من قبيل مجموع الشكل واللون والتناسب والترتيب في الأجزاء ومقاديرها ، ثم اختلفوا في إدراك البصر المبصرات ، قيل : بانعكاس صورة من المرئي إلى الحدقة ، وانطباع تلك الصورة في جزء من الحدقة . وقيل : إدراك البصر باتصال شعاع مخروط يخرج من الحدقة إلى المرئي . وقيل : بحضور المبصر عند الباصرة بلا انطباع ولا خروج شعاع ، وهو مذهب الإشراقيين ، وأدلة الكل المذكورة في صحائف الفلسفة . وأما مذهب مشائخ الأشاعرة ومشائخ الماتريدية فهو أنه ليس بشيء من ذلك .

..... مما يخلق الله تعالى إدراكها في النفس عند استعمال العبد تلك القوة . و الشم : و هي قوة مودعة في الزائدين النابتين في مقدم الدماغ ، الشبيهتين بحملتي الثدي ، تدرك بها الروائح بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة إلى الخيشوم . و الذوق

و إنما بمجرد خلق الله تعالى ، و أشار إليه قدس سره بقوله : ((مما يخلق الله تعالى إدراكها في النفس عند استعمال العبد تلك القوة)) : يخلق الله سبحانه علم الأبصار للنفس الناطقة عند مقابلة الباصرة للمبصر ، و أما المقابلة و عدم غاية القرب و البعد و اللون و الضوء و أمثالها ، فشروط عادية في هذه النشأة ، و إنما مداره عندهم على مطلق الوجود ، حتى جوزوا رؤية أعى الصين بقعة أندلس . ((و الشم)) : الثالث من المشاعر الخمسة الظاهرة ، الشم . ((و هي قوة مودعة في الزائدين النابتين في مقدم الدماغ ، الشبيهتين بحملتي الثدي)) : كل واحدة منهما تقابل ثقبه من ثقبتي الأنف ، و على هذا فلا إدراك في الأنف ، و إنما هو واسطة لأن الشامة قائمة بتينك الزائدين . ((تدرك بها الروائح)) : يعني رائحة الروائح ، و لا حصر لأنواع الروائح ، و ليس لهذه الأنواع أسماء في أنفسها إلا من جهة الملازمة للشامة ، فيقال : رائحة طيبة أو منتنة . ((بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة إلى الخيشوم)) : المراد أنه يتكيف أولاً الهواء المجاور ذا الرائحة ، ثم ما يجاوره ، ثم وشم ، و ملم جراً إلى أن يصل إلى الهواء المتصل بالأنف ، ثم الهواء الموجود فيها . و قيل : تدرك بوصول الهواء المختلط بجزء تحلل من ذي الرائحة ، و منع بأن القدر اليسير من المسك استحال أن يتخلل منه على الدوام ما ينتشر إلى مواضع ، يصل إليها الرائحة . و على كلا التقديرين ليس ذلك الوصول علة تامةً لذلك الإدراك ، بل إن الله سبحانه يخلق إدراك تلك الروائح بطريق جري العادة عند المشائخ ، أو بطريق الإيجاب عند الفلاسفة . ((و الذوق)) : الرابع : من المشاعر الخمسة الظاهرة ، الذوق .

..... وهي قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان ، يدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية التي في الفم بالمطعوم و وصولها إلى العصب . و اللمس : وهي قوة منبثة في جميع البدن ، تدرك بها الحرارة ، و البرودة ، و الرطوبة ، و اليبوسة ، و نحو ذلك عند التماس و الاتصال به . و بكل حاسة منها : أي : من الحواس الخمس ، توقف : أي يطلع

((وهي قوة منبثة)) : من الانبثاث ، و هو انفعال من البث ، و هو التفريق ، و إنما وصف الذوق و اللمس بالانبثاث لا بالإيداع ، لأن محلها أوسع من محال القوى السابقة ، فناسب التفريق . ((في العصب المفروش على جرم اللسان يدرك بها الطعوم)) : مثل الحلاوة و المرارة و الملوحة و الحموضة و غيرها لانحصى . ((بمخالطة الرطوبة اللعابية)) : و المراد به أن الرطوبة اللعابية ذريعة محضة و وسيلة صرفة للإيصال ، لا أنها مدركة للذوق ، و إنما هي قوة ذوقية في العصب المفروش في جرم اللسان ، ((التي في الفم بالمطعوم و وصولها إلى العصب . و اللمس :)) : الخامس من المشاعر الخمسة الظاهرة ، اللمس . ((وهي قوة منبثة في جميع البدن)) : يعني هي قوة سارية في جميع جلد البدن ، ((تدرك بها الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة و نحو ذلك)) : من الملاسة ، و الخشونة ، و الصلابة ، و اللينة ، و الثقل ، و الخفة ، و البلة ، و الجفاف ، و الزوجة ، و الهشاشة ، و اللطافة ، و الكثافة ؛ و غيرها من الملموسات . ((عند التماس و الاتصال به)) : يعني و إدراك اللمس بالمماساة و الاتصال بالملموس ، و في تعدد قوة اللمس و وحدها ، فإنه يحتمل أن تكون قوى كثيرة ، كل قوة منها يدرك بها الضدان من هذه الكيفيات ، و يحتمل أن تكون قوة واحدة بها جميع هذه الكيفيات يدرك . فافهم . ((و بكل حاسة منها أي من الحواس الخمس ،)) توقف ((: أي : يطلع)) : يعني يوقع الوقوف و الاطلاع .

..... على ما وضعت هي ، تلك الحاسة له ، يعني أن الله تعالى قد خلق كلا من تلك الحواس لإدراك أشياء مخصوصة . كالسمع للأصوات ، و الذوق للطعوم ، و الشم للروائح ، لا يدرك بها ما يدرك بالحاسة الأخرى ، و أما أنه هل يجوز ذلك ففيه خلاف بين العلماء . و الحق الجواز ؛ لما أن ذلك بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير للحواس ، فلا يمتنع أن يخلق الله عقيب صرف الباصرة إدراك الأصوات مثلاً ، فإن قيل : أليست الذائقة تدرك حلاوة الشيء و حرارته معاً ، قلنا : لا بل الحلاوة تدرك بالذوق و الحرارة باللمس الموجود في الفم و اللسان

((على ما وضعت هي)) أي ((تلك الحاسة له)) : و الضمير المجرور إلى كلمة ما . ((يعني أن الله تعالى قد خلق كلا من تلك الحواس لإدراك أشياء مخصوصة : كالسمع للأصوات ، و الذوق للطعوم ، و الشم للروائح ، لا يدرك بها)) : يعني بحاسة منها ((ما يدرك بالحاسة الأخرى)) : و المراد بالجواز الإمكان العقلي الذاتي لا الواقعي ، فإنه مساوق عند التحقيق للفعلية ، و قد اعترف بانتفاء الفعلية بقوله : و لا يدرك ((و أما أنه هل يجوز ذلك ففيه خلاف بين العلماء)) : بين أهل السنة القائلين بالجواز و الفلاسفة القائلين بالامتناع . ((و الحق الجواز ؛ لما أن ذلك بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير للحواس)) : يعني هذه كلها منافع و حكم لا علل غاية ، بل ربط للمسببات بالأسباب الظاهرة ، و إلا فهو سبحانه خالق و قادر على إيجادها بلا أسبابها ، فإنه يخلق ما يشاء و يحكم ما يريد . فتأمل و لاتغفل . ((فلا يمتنع)) : يعني عند العقل و النقل ((أن يخلق الله عقيب صرف الباصرة إدراك الأصوات مثلاً)) : يعني و لا يبعد عن قدرة الله سبحانه أن يخلق عند كل حاسة ما تدركه الأخرى ، فيجوز أن يوجد عند صرف الباصرة إدراك الأصوات مثلاً و هذا هو الحق المحض . ((فان قيل)) : رد على قوله لا يدرك بها ما يدرك بالحاسة الأخرى . ((أليست الذائقة تدرك حلاوة الشيء و حرارته معاً)) : و حاصله : إن دعواكم منقوض بالذائقة ، فإنها تدرك حلاوة الشيء و حرارته معاً ؛ مما يختص بإدراكه اللمس . ((قلنا : لا ، بل الحلاوة تدرك بالذوق و الحرارة باللمس الموجود في الفم و اللسان)) : و حاصله : أن ههنا حاستين و قوتين : قوة الذوق و قوة اللمس ، لا قوة واحدة ؛ حتى يرد ما يرد . فتفكر .

..... و الخبر الصادق : أي : المطابق للواقع ، فإن الخبر كلام يكون
لنسبته خارج تطابقه تلك النسبة فيكون صادقا او لا تطابقه فيكون
كاذبا ، فالصدق والكذب على هذا من أوصاف الخبر.....

قوله: السمع السبب الأول من أسباب العلم

قال الراقم : لما فرغ المصنف عن السبب الأول من أسباب العلم شرع في
السبب الثاني ، فقال : ((و الخبر الصادق)) : قال الشارح البارع : ((أى المطابق
للواقع)) : و هذا تفسير للصفة . ((فإن الخبر كلام)) : لأنه لا محالة يشتمل
على نسبة تامة بين الطرفين قائمة بنفس المتكلم ، و هو تعلق أحد الشئيين
بالآخر ؛ بحيث يصح السكوت عليه سواء كان إيجابا أو سلبا . ((يكون لنسبته
خارج)) : يعني نسبة خارجية محققة أو مقدرة و معنى النسبة الخارجية أن
يكون الخارج ظرفا لنفس النسبة لا لوجودها ، فلا يرد أن النسبة من الأمور
الاعتبارية يستحيل وجودها في ظرف الخارج . ((تطابقه تلك النسبة)) : يعني
تطابق تلك النسبة ذلك الخارج ، بأن يكونا ثبوتيين أو سلبيين ((فيكون
صادقا)) : يعني ذلك الكلام التام . ((أو لا تطابقه)) : بأن تكون النسبة
المفهومة من الكلام ثبوتية و التي بينهما في الخارج و الواقع سلبية أو بالعكس .
((فيكون كاذبا)) : يعني ذلك الكلام التام ، فالكلام من حيث احتماله للصدق
و الكذب ، كما أنه قضية و مسئلة و مقدمة و مطلوبة و نتيجة ؛ من حيث أنه
مشتمل على الحكم ، و مسؤول عنه ، و جزء دليل ، و مطلوبه ، و حاصل منه ،
فالذات واحد و اختلاف العبارات بحسب الاعتبارات . ((فالصدق و الكذب على
هذا)) : يعني على اعتبار المطابقة و عدم مطابقة الواقع ، ((من أوصاف
الخبر)) : فصدق الخبر مطابقة حكم الخبر للواقع ، و كذب الخبر عدم مطابقة

حكم الخبر للواقع . يعني أن الشئيين الذين وقع بينهما نسبة ، فالخبر لا بد أن يكون بينهما نسبة في الواقع ، يعني مع قطع النظر عما في الذهن و عما يدل عليه الكلام ، فمطابقة تلك النسبة المفهومة من الكلام للنسبة التي في الخارج ، بأن تكونا ثبوتيتين أو سلبيتين صدق ، و عدمها بأن تكون إحداهما ثبوتية و الأخرى سلبية كذب . و التحقيق الحقيقي : أن الكلام إما أن يكون له نسبة بحيث تحصل من اللفظ ، و يكون اللفظ موجدا لها من غير قصد إلى كونه دالا على نسبة حاصلة في الواقع بين الشئيين - و هو الإنشاء - ، أو يكون نسبته بحيث يقصد أن لها نسبة خارجية تطابقها أولا تطابقها ، فهو الخبر ، لأن النسبة المفهومة من الكلام الحاصلة في الذهن لا بد أن تكون بين الشئيين ، و مع قطع النظر عن الذهن لا بد أن يكون بين هذين الشئيين في الواقع نسبة ثبوتية - بأن يكون هذا ذاك - أو سلبية - بأن لا يكون هذا ذاك - و بعد هذا ما يقتضيه ظاهر العبارة : من أن الفرق بينما أن الخبر له خارج ، و الإنشاء لا خارج له ، كلام ظاهري خلاف التحقيق . و الحق ما قال بعض العلام : إن المراد من التطابق و عدم التطابق إن كان التطابق بين النسبة الكلامية و الخارجية و عدم التطابق بينهما ، فلا شك أن ذلك متحقق في الإنشاء أيضاً كما في " هل زيد قائم " ، فإن النسبة الكلامية فيه طلب الفهم من المخاطب ، و النسبة الخارجية له الطلب النفسي للفهم ، فإن كان الطلب النفسي ثابتاً للمتكلم في الواقع كان الخارج مطابقاً للنسبة الكلامية ، و إن كان الطلب النفسي غير ثابت للمتكلم في الواقع كان الخارج غير مطابق . و قس سائر الإنشاءات ، و إن كان المراد من تطابق النسبة للخارج للحكاية عما هو ثابت في الواقع ، فظاهر أنه لا يوجد في الإنشاءات ؛ لأن التَّسَبُّبَ الإنشائية ليست بحكاية عن النسبة الثابتة في نفس الأمر و حينئذ فالتَّسَبُّبَ الإنشائية لا خارج لها تطابق ذلك النسبة له أولاً تطابقه . فاحفظ هذا التحقيق الأنيق .

..... وقد يقالان بمعنى الإخبار عن الشيء على ما هو به أولاً على ما هو به ، أي الإعلام بنسبة تامة تطابق الواقع أولاً تطابقه فيكونان من صفات المخبر ، فمن ههنا

((وقد يقالان)) : يعني يطلق الصدق و الكذب . ((بمعنى الإخبار عن الشيء على ما هو به)) : الضمير المرفوع لشيء و المجرور للموصول ، و المعنى : الإخبار عن الشيء على وجه يكون هذا الشيء بهذا الوجه . ثم إن أريد بالشيء النسبة فما عبارة عن الوقوع و اللا وقوع ^(١) ، و إن أريد به الموضوع فما عبارة عن ثبوت المحمول و انتفائه ^(٢) و الأول أقرب من حيث المعنى ، لأن المخبر عنه هو النسبة لا ذات الموضوع و المحمول ، و أوفق بقول الشارح : أي الاعلام بنسبة . و الثاني أنسب من حيث اللفظ ، لأنهم يعبرون عن الموضوع بالمخبر عنه . ((أولاً على ما هو به)) : يعني الإخبار عن الشيء لا على الوجه الذي يكون الشيء بهذا الوجه . ((أي الإعلام بنسبة تامة)) : إيماء إلى أن المراد بالشيء هو النسبة ، و المراد بقوله : على ما هو به صفتها و كیفيتها من الإيجاب و السلب و غيرهما . ((تطابق الواقع أولاً تطابقه فيكونان)) : يعني الصدق و الكذب ، ((من صفات المخبر)) : يعني من يكون بصدد الإخبار و الإعلام ، و ذلك لأن الإخبار و الإعلام هو فعل و صفة للقاتل ، و هذه الصفة له مأخوذة من اتصاف خبره أولاً بالمطابقة و اللا مطابقة ، فاتصاف الخبر بالصدق و الكذب واسطة في الثبوت لاتصاف المخبر ، ((فمن ههنا)) : يعني لأجل أنه يصح أن يكون الصدق و الكذب من أوصاف الخبر و من أوصاف المخبر .

(١) يعني الإخبار عن النسبة باعتبار الوقوع أو باعتبار اللا وقوع .

(٢) يعني الإخبار عن الموضوع باعتبار ثبوت المحمول له أو باعتبار انتفاء المحمول له .

..... يقع في بعض الكتب الخبر الصادق بالوصف ، وفي بعضها خبر الصادق بالإضافة على نوعين أحد هما الخبر المتواتر سمي بذلك لما أنه لا يقع دفعة بل على التعاقب والتوالي وهو : أي الخبر الثابت على السنة قوم لا يتصور تواطؤهم : أي لا يجوز العقل توافقهم على الكذب ، ومصادقه وقوع العلم من غير شبهة ، وهو بالضرورة موجب للعلم الضروري

((يقع في بعض الكتب الخبر الصادق بالوصف ، وفي بعضها خبر الصادق بالإضافة على نوعين أحد هما الخبر المتواتر)) : وهو في الأصل إتيان شيء بعد شيء متصلا من تواتر الرجال إذا جاؤوا واحدا بعد واحد ، وأما من جهة العرف فرواية جماعة عن جماعة متوافقتين طبقة طبقة ، يشترط فيه التواطؤ في كل طبقة . قال الشارح - قدس سره - : ((سمي بذلك)) : يعني بالمتواتر . ((لما أنه لا يقع دفعة)) : يعني في آن واحد وساعة واحدة . ((بل على التعاقب والتوالي)) : يعني أنا فأنا على سبيل التدرج .

الخبر الصادق السبب الثاني

قال الراقم قبل الخوض في المقصود : لابد من شرح حقيقته ، الخبر المتواتر على نوعين : النوع الأول أن يخبر أهل التواتر عن وجود شيء شاهده أو الكلام سمعوه ، وهذا الخبر يفيد العلم بشرطين : أحدهما أن يبلغ في الكثرة إلى حيث يمتنع في العادة والعقل توافقهم على الكذب ، مثاله إنا إذا رأينا أهل البلد أن المختلفة مع تباعد بلادهم وتباين أخلاقهم متفقين على الإخبار بأن في الدنيا بلدة يقال لها " مدينة " ، حصل لنا العلم القطعي اليقيني بوجود مدينة منورة ، وإن كنا ما رأيناها . وثانيهما أن يكون المخبر عنه شيئا محسوسا ، وذلك لأن أهل الشرق والغرب لو أخبروا عن حدوث العالم ووحدة الصانع لما يفيد خبرهم العلم ، وأما إذا أخبروا عن وجود مدينة أفاد